الجزء ٦ — المجلد ١٠



(دمشق) : حزيران سنة ١٩٣٠ م — الموافق المحرم سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة الثانية عشرة

عروبية المتنبي (١)

الفتى العربي

— ٦ —

حرص العرب على قوميتهم — اختلاط العرب بالاعاجم — تشتت العرب

« تغني الشعراء بالقومية العربية »

أرأيتم كيف كان اليمانيون وهم في ارض غير ارضهم ، وتحت سماء غير سمائهم يلهجون بذكر بطونهم وأحيائهم ، وقد تقاذفت بهم وهاد وتلاع ، وشطت بهم غربة نازحة ، أرأيتم كيف كانوا يحنون الى قبيلهم وعشيرهم ، فما يسمون منازلهم في خد العذراء الا كندة والا السبيع ، أرأيتم كيف كان اهل البدو يعتصمون بالعروة الوثقى من قوميتهم وتطرب السنتهم بذكرياتهم ، وهل القومية الا الحرص على الذكريات ، هل القومية الا التغني باصحاب هذه الذكريات .

قال المؤلف الايطالي (فررورو Ferrero) أصبح احتفال الامم بعد تعاقب مائة عام

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على وفاة الفضلاء من رجالها عقيدة قومية في كل الامصار ، وهذا مما جاء به القرن التاسع عشر .

والى هـذا رمى اوغست كونت لما اراد ان يجعل عبادة عظماء الرجال بمنزلة عقيدة من عقائد البشر .

فالمعتقد الذي يذهب اليه الافرنجة في عصرنا هذا ذهب اليه العرب في قديم الدهر والئن ملأ مذهب القوميات القرن التاسع عشر على ما قال الاستاذ « سورل » فان هذا المذهب قد ملأ تاريخ العرب من قبل ان يخلق القرن التاسع عشر .

لقد كان العرب يحرصون على قوميتهم وهل القومية الا اتصال رجال الامة بعضهم ببعض ، امواتهم باحيائهم ، وحاضرهم بغابرهم ولم لا يحرصون هذا الحرص ، وقد كانوا امة على معنى المصطلح الاجتماعي في عصرنا هذا ، ينتسبون الى اصل واحد ، وقد تقاربت اخلاقهم وطبائعهم ، وتشابهت هيآتهم وسحناتهم ، وتماثل تاريخهم وسياستهم ، وجمعتهم ارض واحدة ، واظلتهم سماء واحدة ، وهل الامة الا واحدة في جنسها وبيئتها ولغتها ودينها وحكومتها وارضها ، على اننا نرى في ايامنا أمماً من اجناس مختلفين ، يتكلمون بلغات مختلفة ، ويدخلون في اديان مختلفة ، اننا نرى شعوباً يجمعهم نظام قومي محكم وهم مبعثرون في نواحي العالم كله . كاليهود مثلاً اننا نرى شعوباً يتكلمون بلغة واحدة ولا ينتسبون الى امة واحدة ، كالانكليز واميركان الشمال ، وكسكان اسبانية وجمهوريات اميركة الجنوبية ، وكسكان البرتغال والبرازيل ، وكسكان فرانسة وبلجيكة الشرقية وكسكان ألمانيـة وسويسرة الشرقية ، اننا نرى امماً من اجناس مختلفين ، كالروس ، او كأهل الولايات المتحدة ، حيث نشاهد الابيض والاسود والاحمر . اننا نرى امماً فيها مذاهب شتى واديان متباينة [1]

عاملان من العوامل ينشئان الامة : اشتراك الامة في ميراث ملآن من الذكريات واجتماع كلمة هذه الامة على احياء ميراثها المشترك ، فالعرب في قديم الدهر قد تناولت ميراثاً خصيباً بذكرياته وتضافرت على احياء هذا الميراث فعاشت به زمناً رغداً يتغنى العربي

---

(١) دائرة المعارف الفرنسية : بحث القوميات .

بعروبته . ويفخر بقوميته ، فهو صاحب الامر النافذ في دياره ، يتصرف في ملكه لا يشاركه رومي او تركي او فارسي او ديلمي في سلطانه ، العربية لسانه والعمائم تيجانه والمشرفية سيوفه والخطية رماحه ، نعم عاش العرب في صدر الاسلام بهذا الميراث الخصيب:

« يتبخترون على شباب الدهر في ظل السرير »

ولكن سرعان ما حالت احوال وحدثت حوادث وما هو الا كرد النفس واذا القيسية واليمانية ، واذا الفتن والشغاب ، واذا الفرس والترك والديلم ، واذا التطاول لانتزاع الملك والسلطان ، واذا الفرقة بعد الالفة . واذا الطولونية والاخشيدية والحمدانية والفاطمية والسلجوقية ، ذهبت وحدة العرب او كادت ، وطلعت الشعوبية في البلاد فلا عز ولا منعة ولا حكمة السن ولا شدة عقول :

فلست بتارك ايوان كسرى لتوضح او لحومل فالدخول
وضب في الفلا ساع وذئب بها يعوي وليث وسط غيل

هذه هي نغمات الشعوبية بعد ان كان السلطان عربيًا واللسان مضريًا . والوشي يمانيًا ازدحم الاعاجم في البلاد واخذ عمال الخلافة العباسية ينفصلون عن بغداد وينفردون بامور الملك والسلطان ، قال غستاف لوبون :

« من جملة الاسباب في ضعف العرب اختلاف الامم الذين خضعوا لسلطانهم ، فقد ادى هذا الاختلاف الى تمازج شعوب لا يشبه بعضهم بعضًا والى تنازع هذه الشعوب ونشأ عن هذا كله تزاوج عناصر متباينة ، فافسد هذا التزاوج دم الفاتحين من العرب ، لقد كان تمازج الشعوب المتباينة في بلاد واحدة سببًا في انقراض هذه البلاد في كل عصر من العصور واثبت التاريخ ان لا سبيل الى ابقاء اجناس مختلفين في قبضة واحدة الا بامرين ، اما ان يشتد سلطان الفاتحين فلا تخرج الخوارج عليهم وأما ان لا يتزوج الغالب الى نساء المغلوب اي ان لا يندمج الغالب في المغلوب وهذا الامر الثاني لم يحذره العرب — »

نعم لم يحذر العرب هذه الامور كلها حتى اختلطوا بالاعاجم فتفرقت كلمة العرب وضعف تغني القوم بعروبيتهم .

فلننظر في هذه الحالة الاليمة هل حافظ المتنبي على عروبته ، أفكان يضطرب في هذه العروبة اضطرابه في حنينه الى وطنه ، أفكان يتغنى بها مرة ، ويعقها مرة ، كما

كان يحن حيناً الى كندة ، وحيناً يرى ان كل مكان ينبت العز طيب ، فلننظر هل اشتدت الفة المتنبي ليمانيته وعروبيته في جميع اطوار حياته .

لئن كان ابو الطيب قلقاً في تغنيه بتربته كريشة في مهب الريح ، لئن عطف حيناً على وطنه وعقه حيناً آخر ، فما كان قلقاً في تغنيه بعروبيته ، لم يعقها في يوم من ايامه ولا حدثته نفسه بالانسلاخ منها في حال من احواله ، ولئن لم تشتد الفة ابو الطيب لتربته فقد اشتدت الفته ليمانيته وعروبيته فهذه العروبية ممزوجة بنفسه موصولة بروحه من اول حياته الى آخرها .

المتنبي عريق في يمانيته ، شديد الحرص عليها وهل هو الا من جعفي وهمدان ، وكأني به وهو يقول في صباه على لسان بعض التنوخيين :

ومجدي يدل بني خندف   على ان كل كريم يماني

كأني به يريد نفسه بهذه اليمانية ولكن ابا الطيب لم يقبع في عقر يمانيته فقد طار في فضاء اوسع وحلق في سماء امد ، فانسلخ من اليمانية واندمج في العروبية يفاخر بكل شيء عربي يفاخر بلسان العرب وبتيجان العرب وبسيوف العرب . وسواء أكان ابو الطيب رقيق الحال ام كان واسع النعمة وسواء أكان في بلاد العرب ام كان في بلاد العجم انه حافظ على هذا الدم العربي وتعلق باهداب هذه القومية العربية فلم يرض بغيرها ديناً ولم يبغ عنها حولاً .

وما قولكم في شاعر يمر بشعب بوان بارض فارس وهو احد متنزهات الدنيا ، مشهور بحسنه وكثرة شجره وتدفق امواهه وكثرة انواع طيره .

اذا أشرف المحزون من رأس تلعة   على شعب بوان استراح من الكرب

تغنى به الكتاب والشعراء فوصفوا فيه جداول ماء ارق من دموع العشاق وابرد من ثغور الاحباب ، ووصفوا ترقرق آذيها وتدفق تيارها وتكسر حبابها في خلال زهر ورياض ، ووصفوا ظلها الخضل الالمى ، ماقولكم في شاعر يصف هذا المتنزه ويقول فيه :

ملاعب جنة لو سار فيها   سليمان لسار بترجمان

طبت فرساننا والخيل حتى   خشيت وان كرمن الحران

غدونا تنفض الاغصان فيها   على اعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبن الحر عني وجئن من الضياء بما كفاني
والقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفر من البنان
لها ثمر تشير اليه منه باشربة وقفن بلا اوان
وامواه تصل بها حصاها صليل الحلي في ايدي الغواني

ما قولكم في شاعر يرى هذه العجائب والغرائب فلم تستول على قلبه ولم تأخذ من نفسه لانه تذكر وهو في شعب بوان انه عربي بين عجم فتأوه وقال :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وما هذا الفتى العربي الا ابو الطيب نفسه ·

وحن الى منازل دمشق العربية وقال :

منازل لم يزل منها خيال يشيعني الى النوبندجان
اذا غنى الحمام الورق فيها اجابته اغاني القيان
ومن بالشعب احوج من حمام اذا غنى وناح الى البيان

* * *

من هذا يتبين لكم مقدار احتفاظ المتنبي بعروبته وهو في آخر مدى حياته قد وقف على الخمسين اوجاوزها ولم يكتف بهذا المقدار فذهب في هذه النزعة القومية مذهباً ابعد ، فهو لا يريد ان يرى الا ملكاً عربياً ، ولا يعتقد ان العرب تنجح اذا كانت ملوكها من العجم لان العجم ينقضون العهود ولا يخفرون الذمم :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم
بكل ارض وطئتها امم ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه وكان يبرى بظفره القلم

وما هؤلاء العبيد الا عبيد الخلفاء من الاتراك الذين يأمرون على الناس · فالمتنبي يرى بين قومه وبين الاعاجم من ترامي المسافات ما لا يمكن تقريبه فهم متباينون في اللغة والذكريات فليس لهم ماض مشترك يؤلف بين قلوبهم · ليس لهم ذكريات واحدة · وادب واحد · واخلاق واحدة · وتربة واحدة فالتنافر مستحكم بينهم من كل النواحي · —

فالمتنبئ عربي في سلطانه . وقد حملته عروبته هذه في بعض الاحايين على ايلام الاعاجم فانه لما قدم من الرملة يريد انطاكية مر بابن كيغلغ وهو رجل رومي كان يحافظ على الطريق في طرابلس . فسأله هذا الرومي ان يمدحه فترفع ابو الطيب عن مدحه . فاعتاقه ابن كيغلغ عن سفره ثلاثة ايام . فلما فارقه المتنبئ قال فيه قصيدته المشهورة : لهوى النفوس سريرة لاتعلم . من جماتها هذا البيت :

افعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الاعاجم اعجم

انظروا كيف كان ابو الطيب يتجرد للمراماة دون حياض العرب . فقد كان يباهي بكل شيء عربي . يباهي بلسان العرب وبتيجان العرب . و بسيوف العرب . وصحبته هذه العاطفة الشريفة حتى آخر نفس من انفاسه الذكية . لما مدح ابن العميد في ارض فارس وهنأه بالنيروز مدح فيه عروبة اللسان قبل كل شيء فقال :

عربي لسانه فلسفي رأيه فارسية اعياده

ولما انصرف سيف الدولة من الظفر بحصن برزويه وعاد الى انطاكية . جلس في فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان . افتظنون ان ابا الطيب فضل تيجان الروم على عمائم العرب كلا ثم كلا . فقد قال لسيف الدولة :

وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة لابلج لا تيجان الا عمائمه

تقبّل افواه الملوك بساطه و يكبر عنها كمه و براجمه

نعم كان يفاخر بكل شيء عربي انظروا الى مفاخرته بسيوف العرب قال يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف اذا كانت نزارية عربا

* * *

وكأن هذه النزعة القومية كانت نزعة طائفة من شعراء تلك الايام على ان الحرب التي كانت تدور بين المسلمين والروم قد صبغت بصبغة دينية . فكان ملك الروم اذا غزا بلاد المسلمين يجهز رجاله بالصليب الاحمر وقد كان شعراء العرب يومئذ يذهبون في شعرهم بعض مذاهب اسلامية مجاراة لطبيعة الحرب بين الروم والمسلمين قال ابو الطيب لسيف الدولة :

خضعت لمنصلك المناصل عنوة   واذل دينك سائر الاديان

ولكنهم مع هذا كله قد خرجوا من افق الدين الى افق اوسع واعم ، فلم يقتصر ابو الطيب في مدائحه في سيف الدولة على الاشارة الى نصرة الاسلام في حرب الروم ولكنه كان يرمي مرمى عربيًا ابعد أفقًا فمن قوله في سيف الدولة :

رفعت بك العرب العماد وصيرت   قمم الملوك مواقد النيران

انساب فخرهم اليك وانما   انساب اصلهم الى عدنان

فقال : رفعت بك العرب ولم يقل رفع بك الدين ·

نعم كانت هذه اللهجة لهجة كثير من شعراء تلك الايام ، لما بنى سيف الدولة قلعة الحدث وقد جمع ملك الروم اكابر مملكته وجهزهم بالصليب الاحمر هنأه كثير من الشعراء من جملتهم السري الذي قال في بناء الحدث :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت   منه الحوادث حتى ذل صاحبه

اعدته عربيا في مناسبه   من بعد ما كان روميًا مناسبه

وكتب ابو فراس الى سيف الدولة وهو في الاسر ابياتاً من جملتها :

وانك لي الجبل المشمخر   بل لقومك بل للعرب

ومن قول ابي نصر ابن نباتة في سيف الدولة :

حاشاك ان يدعيك العرب واحدها   يامن ثرى قدميه طينة العرب

وما اكرم هذه الصرخة التي صرخها ابو فراس على لسان نساء بني كلاب وذلك ان سيف الدولة اصطنع بني كلاب وادناهم وآمن سربهم فقهروا العرب وعلت كلمتهم الى ان بدت منهم هفوة احفظت سيف الدولة فاسرى اليهم واوقع بهم وملك حرمهم واموالهم ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم ووكل بهن الخدم وحملهن وافضل عليهن واحسن اليهن فكتب اليه ابوفراس في تلك الحال قصيدة يقول فيها :

ينادين بين خلال البيوت   لا يقطع الله اصل العرب !

وفي هذه الوقعة يقول ابو الطيب :

وان يك سيف دولة غير قيس   فمنه جلود قيس والثياب

وتحت ربابه نبتوا واثوا   وفي ايامه كثروا وطابوا

وتحت لوائه ضربوا الاعادي وذل لهم من العرب الصعاب

***

هكذا كان تغني الشعراء بالقومية حتى ان ابا تمام لما قال قصيدته الخالدة في مدح المعتصم وذكر فتح عمورية نزع في شعره نزعة اسلامية ولكنه لم يسعه في آخر القصيدة الا التغني بالعروبة فقال :

ان كان بين صروف الدهر من رحم موصولة او زمام غير منقضب

فبين ايامك اللاتي نصرت بها وبين ايام بدر اقرب النسب

ابقت بني الاصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلّت اوجه العرب

فانتم تجدون في هذا كله ان كلمة العرب كانت تجري على السن الشعراء في ذاك العصر حتى في الحروب الدينية وفي هذا اشارة الى نزعة قومية لا يخفى امرها .

***

هذا ما عنّ لي من الكلام على عروبة المتنبي ولِمَ لا يتغنى ابو الطيب بعروبته ، وقد جاءته هذه العروبة من ناحية ابيه ومن ناحية امه فاختمرت في صدره فلم تفارقه في طور من اطوار حياته ، واذا كان شاعر مثل المتنبي لم ينزع في شعره نزعة قومية فمن الذي يذهب هذا المذهب ، فاللسان العربي الذي لهج ابو الطيب بحبه عامل من اقوى عوامل القومية ولئن وجدنا شعوباً يتكلمون بلغات واحدة ولا ينتسبون الى امة واحدة فلا يستنبط من هذا ان اللغة الواحدة لا تكون عنصراً من عناصر القومية فاللغة انما هي اشد الاواصر بين حاضر الامة وماضيها ، وبين احيائها وموتاها . فيها كل شيء يربطنا بالماضي ، فيها افراح العرب وآلامهم وفيها افكارهم وعواطفهم ، انها تضمنت ميراثنا الادبي الذي تعب آباؤنا واجدادنا في صقل جوانبه وتهذيب حواشيه ولا تكون الامة امة على مصطلح هذا العصر الا اذا تضافر رجالها على الاعتناء بهذا الميراث .

هذا ما رمى اليه ابو الطيب في الماضي وهذا ما نرمي اليه في الحاضر والآتي .

دمشق : في ١ شباط سنة ١٩٣٠

المحاضرة الثالثة عشرة

هل كان المتنبي شعوبياً

– ٥ –

نفيهم عنه التعصب لوطنه – نفيهم عنه التعصب لقومه

« نقد الشاعر من ناحية واحدة »

هيأت الكلام على ابتداء امر المتنبي ، وعلى اول تربيته وثقافته ، وعلى رقة حاله وجملة اخباره ، ووصف طبائعه ، واعددته لأحاضر به في هذا اليوم الا ان المقام اقتضى ان اعود على ما بدأت به من الكلام على تعصب المتنبي للعرب والعروبة ، وعلى حنينه الى وطنه واضطرابه في هذا الحنين لاني وجدت بعض المؤلفين في هذا العصر ممن عملوا كتاباً على حدة في ابي الطيب المتنبيء ينفون عن ابي الطيب تعصبه لقومه ، وتعصبه لبلد ، ملقين الكلام على عواهنه دون شيء من التمحيص . أما نفيهم عنه التعصب للوطن ، فقد استندوا فيه الى طائفة من الابيات التي رويتها لكم واشرت فيها الى اضطراب المتنبيء في حنينه الى تربته منها :

وما بلد الانسان غير الموافق ولا اهله الادنون غير الاصادق

ومنها وكل امريء يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

واضافوا اليها أبياتاً غيرها من جملتها :

غني عن الاوطان لا يستخفني الى بلد سافرت عنه اياب

ومنها : في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختها بدل

على ان البيت الذي جاء قبل هذا البيت وهو :

اذا صديق نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحيل

يدل على ان ابا الطيب اذا حدثته نفسه بالاضطراب في سعة الخافقين فانما ذهب هذا المذهب لانكاره جانب الصديق ولم يذهبه لانكاره جانب الوطن نفسه .

ذكروا هذه الابيات كلها ، وقارنوا بينها وبين الابيات الآتية التي يقولها اصحابها في حنينهم الى بلادهم والى قومهم :

بلادي وان جارت عليّ عزيزة وقومي وان ضنوا عليّ كرام

او كقول المعري :

فلا هطلت علي ولا بارض سحائب ليس تنتظم البلادا

فحكموا على المتنبي انه لا يتعصب لبلده ، ورموه بضعف الخلق ، وشبهوه بالطفل الذي يمد يديه الى الخير ، لا يبالي اين وجده وكيف التقطه . —

واما نفيهم عنه التعصب لقومه ، فانهم لم يذكروا الابيات التي استندوا اليها في هذا النفي ، ولكنهم اشاروا الى مدائح ابي الطيب في عضد الدولة وفي كافور وعجبوا من المتنبيء كيف يمدح الاعاجم بعد قوله :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

كيف يمدح ابو الطيب عضد الدولة ، وكيف يذكر في شعره اسمه ولقبه ويقول :

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
اباشجاع بفارس عضدالدو لة فنّاخسرو شهنشاها

نعم عجبوا من هذا كله ، فحكموا على المتنبي انه مجرد من التعصب للعرب ولبلاد العرب فكأنهم يقولون فيه انه شعوبي ، وان هم لم يصرحوا بهذه الصفة ، فلننظر في مبلغ هذا العجب ومقدار هذا الحكم ، أفكانوا مصيبين في هذا الحكم ام كانوا مخطئين فيه ، أفصدر حكمهم بعد ان نظروا الى ابي الطيب من جميع النواحي ، ام صدر الحكم وهم لم ينظروا الى المتنبيء الا من ناحية واحدة ، فلا بأس بان يكون الدرس في هذا اليوم ضرباً من النقد :

الغريب انهم اذا نقدوا شعر شاعر ، وصوبوا النظر وصعدوه في بواطن هذا الشاعر وفي ظواهره ، نظروا اليه من طرف واحد . فمنهم من ينظر اليه من الناحية التي يظنها ناحية المحاسن ، ومنهم من ينظر اليه من الناحية التي يحسبها ناحية المساويء ، وفي هذين المذهبين اشتطاط في الرأي وذهاب مع الهوى ، وانقياد للعاطفة ، وضعف في النظر

وما ينبغي للناقد ان يكون خاضعاً لسلطان الهوى ، ما ينبغي للعين ان يخفى عليها الضياء فلا ترى الا الظلام ، فأنهم اذا ذهبوا في النقد هذه المذاهب ، وساروا هذه السيرة ضاعت الحسنات ، حتى انهم ليعظمون العورات في بعض الاحيان و يتعقبونها فيمرون بالحسنات الرائعة والى جنبها سيئة خفية فيغضون على الروائع ويتهامسون بالعورات وما هذا من النقد في شيء ، واذا الناقد لم ينظر الى الشاعر من جميع الوجوه من وجه الحسنات ومن وجه السيئات على السواء لم يكن نقده نقداً ولا تمييزه تمييزاً ، اذا هو نظر اليه من طرف واحد و حكّم الهوى في نظره كان نقده مثلوم الجوانب .

جردوا ابا الطيب من كل عاطفة وطنية ومن كل نزعة قومية واعتمدوا في تجريدهم هذا على الابيات التي رويتها لكم فلننظر في حكمهم على ابي الطيب من الناحية الوطنية ، والمراد بالوطنية في هذا المقام الحنين الى الوطن ، لا ريب في ان ابا الطيب لم يثبت على حال في شوقه الى تربته ، وقد بينت اضطرابه في هذا الحنين فلا أجد حاجة الى الرجوع اليه . وقد يكون لهذا الاضطراب اسباب شتى : منها ان ابا الطيب لم يستقر في وطنه منذ نشأ وترعرع حتى قتل ، فمن بادية العراق الى بادية الشام ، ومن اللاذقية الى انطاكية الى حلب ، ومن حمص الى دمشق ومن دمشق الى طبريا الى الرملة ومن فلسطين الى مصر ومن مصر الى العراق ، ومن العراق الى بلاد فارس ، فهو لم يقم بوطنه فلم تألف عينه هذا الوطن ، ومنها ان النفس تعرض لها في بعض الساعات عوارض فتذهل عن كل شيء في الدنيا حتى انها لتكاد تعاف الحياة والمتنبي عصبي المزاج فكان تعرض له هذه العوارض من ألم في النفس وضيق في الصدر كما تعرض لكل واحد منا وما قولكم في شاعر يترك بلاد الشام و يذهب الى مصر فيخلي له كافور داراً و يخلع عليه و يحمل اليه آلافاً من الدراهم فيستقبله المتنبي بهذا الشعر :

كفى بك داءً ان ترى الموت شافيا   وحسب المنايا ان يكن امانيا

ما قولكم في شاعر يتمنى الموت وهو في بحبوحة من العيش وسعة من الامل أفيكثر عليه ان يعاف بلده في بعض الساعات اذا كان يعاف حياته ، على ان ابا الطيب لم يجرد من العاطفة الوطنية كل التجريد ، فانه اذا اضطرب وقال :

غني عن الأوطان لا يستخفني   الى بلد سافرت عنه اياب

هدأ بعد مضطربه وقال وهو في بلاد فارس بين يدي ملك عجمي :

أحب حمص الى خناصرة   وكل نفس تحب محياها
وصفت فيها مصيف بادية   شتوت بالصحصحان مشتاها

وان الذي يقول : وكل نفس تحب محياها ، او يقول : أحن الى اهلي واهوى لقاءهم ، لايرمى بعقة الوطن فكان ابوالطيب يضطرب في بعض الاحوال ثم يهدأ فيصفو خاطره و يروق ذهنه فيذكر اهله ووطنه فكان يجب على الذين نفوا عنه التعصب لبلده ان ينظروا اليه من النواحي كلها ، من ناحية حنينه الى تربته ومن ناحية اضطرابه في هذا الحنين حتى يكون حكمهم صادقاً الا انهم لم ينظروا اليه الا من ناحية واحدة ، فأشاروا الى الابيات التي دلت على اضطرابه في الحنين الى الوطن وسكتوا عن الابيات التي تضمنت حنينه اليه فإما ان يكونوا متحاملين على المتنبي ، وإما انهم لم يقرأوا ديوانه كله ، والأمر الثاني أغرب فكيف يؤلفون في هذا العصر كتاباً في شاعر من الشعراء ولا يقرأون شعره كله .

على انهم لو انصفوا فنظروا الى ابي الطيب في وطنيته اي في حنينه الى تربته من الناحيتين ، واحبوا ان ينقدوه من الناحية التي اشتملت على تغنيه بتربته لوجدوا مجال النقد ذا سعة فان اباالطيب لم يخلف لنا في شعره صورة التربة التي ألفها ، فلم يحملنا على الحنو على هذه الارض الكريمة التي رويت من دماء آبائنا واجدادنا فلو أحطنا مثلاً في شعر ابي الطيب وهو في مصيفه في حمص بالعاصي من منعطفات شطوطه ، لحمنا على هذا النهر المنبسط وصوبنا النظر وصعدناه في مروجه وفي جنانه وشممنا نسيم الشيح والقيصوم في البادية التي جال فيها كل مجال لشعرنا حينئذ بفرط الحنو على هذه الارض الكريمة حيث نبتت لنا في كل بقعة من بقاعها اصول دقيقة قوية تذكرنا قبيلنا وعشيرنا في الماضي .

لو نقدوا ابا الطيب من هذه الناحية ، وقالوا لم يخلف في شعره صورة تجمع أشكال التربة التي الفها والوان هذه التربة لأصابوا في نقدهم بعض الاصابة ولكنهم لم ينقدوه من هذا الوجه وانما جردوه من العاطفة الوطنية تجريداً ، وهذا موضع الاشتطاط ، على

ان ابا الطيب لم يخل شعره من اثر للتربة التي مر بها والفها ، ولكن هذا الاثر انما هو اثر اعرابي يوافق ذوق ابي الطيب وعادته في مشابهة الاعراب وهل هو الا ابن البادية ، وربيب القبائل الف الاعراب من حداثة سنه واخذ عنهم اللغة . صحبهم سنين ثم جاء الكوفة وهو بدوي قح ، نعم لم يخل شعره من اثر للتربة التي الفها فانه كما قال :

احب حمصاً الى خناصرة ... وكل نفس تحب محياها
وصفت فيها مصيف بادية ... شتوت بالصحصحان مشتاها

وصف في مصيفه في حمص ومشتاه بالصحصحان نمط عيشته وما هذه العيشة الا عيشة الأعراب :

ان اعشبت روضة رعيناها ... او ذكرت حلة غزوناها
او عرضت عانة مقزعة ... صدنا باخرى الجياد اولاها
او عبرت هجمة بنا تركت ... تكوس بين الشروب عقراها
والخيل مطرودة وطاردة ... تجر طولى القنا وقصراها
يعجبها قتلها الكماة ولا ... ينظرها الدهر بعد قتلاها

هذا الذي تركه لنا من آثار مصيفه ومشتاه في حمص والصحصحان وانتم ترون ان هذه الآثار اعرابية ما فيها الا الصيد والا الغزو .

فلننظر الآن في حكمهم على المتنبي من الناحية القومية ، فقد عجبوا منه كيف سمحت له نفسه بمدح العجم والاعاجم ، بعد مدح امراء العرب كسيف الدولة واضرابه ، وبعد تصريحه بكراهية العجم ، لا شك في ان اباالطيب مدح ملوكاً وامراء لا ينتسبون الى اصل عربي من جملتهم عضد الدولة ومن جملتهم الاستاذ كافور ولكن هل يجوز ان يكون مجرد مدحه لامراء وملوك اعاجم دليلاً على لينه في عروبيته وهوادته في قوميته وعلى الخصوص وأنه لم يجر على شعره في مدائحه فيهم شيء يستخلص منه فضل الاعاجم على العرب او انه طعن على العرب ورفع من مقادير العجم كما كانت تفعل الشعوبية ، فهو لم يمدح الروم والصقالب والبلغار ولا مدح الدمستق وقسطنطين . وانما مدح ملوكاً مسلمين يتكلمون بلغة العرب ويفاخرون بها فان ملوك آل بويه شعروا وروبت لهم اشعار وكان في خدمتهم

من الكتاب والوزراء امثال ابي اسحق الصابي وابي القاسم عبد العزيز بن يوسف وابي احمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي وأبي القاسم علي بن القاسم القاشاني وابن العميد عماد ملك آل بويه والصاحب ابي القاسم وغيرهم ممن كانوا امراء البيان والانشاء وكانت اللغة الفارسية قد غرقت في خضم العربية وكان عضد الدولة نفسه على ما ذكره الثعالبي في يتيمته يتفرغ للادب و يتشاغل بالكتب ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء و يقول شعراً كثيراً قال ابو بكر الخوارزمي :

كان ينادم عضد الدولة بعض الادباء والظرفاء ويحاضر بالاوصاف والتشبيهات ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرهما الا وانشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً ، فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشده كعادته اذ قدمت بَهَطَّة فنظر عضدالدولة كالامر اياه بان يصفها فارتج عليه وغلبه سكوت معه خجل فارتجل عضد الدولة وقال :

بهطة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كأنها في الجام مجلوة لآلئ في ماء كافور

وقد رويت اشعار لابنه تاج الدولة ابي الحسين احمد ولعز الدولة ابي منصور بختيار ولابي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة فالمتنبي لم يمدح ملوكاً طعنوا على العربية وانما مدح ملوكاً كانوا يتكلمون بها و يفاخرون وفي اتصاله بهم لم ينس عروبيته ولم يتجرد منها واظن انكم لاتزالون تذكرون قوله في مغاني شعب بوان .

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

والنزعة العربية في هذا البيت واضحة فالذي لا تهمه العصبية لقومه لا يستوحش في بلاد العجم وقد كان يستطيع ان يرضي العجم فيقول لهم مثلاً اذا نزل العربي بارضكم فلا يكون غريباً ولكن نفسه العربية أبت الا الوحشة والا الحنين الى منازل دمشق .

وكذلك الاستاذ كافور فقد كانت مجالسه عامرة بالشعراء منهم الانصاري وكانوا يتفاوضون في اللغة والادب حتى ان المتنبي عارض الانصاري بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي يقول فيها : (نظر المحب الى الحبيب غرام) ، وقال له : العرب لاتقول اليه

غرام وانما العرب تقول له ، فقال له الانصاري : العرب تقول اليه ولديه وله وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض ٠

فالملوك الذين تعمر مجالسهم بامثال هذه المجادلات انما هم ملوك لا يكرهون العربية على ما أظن فما في مدح المتنبيء لهم طعن عليه من الناحية القومية فما كان بحضرتهم يغض من العرب و ينتقصهم ٠

فالمتنبيء عربي في اصله ، عربي في عيشته ، عربي في نزعته ، وقد صحب الاعراب وخالطهم ولهذه المخالطة آثار في شعره فيجب على الذين ينفون عنه التعصب لوطنه واقومه ان ينظروا اليه من كل النواحي حتى يكون نقدهم صحيحاً ٠

دمشق : في ٨ شباط سنة ١٩٣٠



المحاضرة الرابعة عشرة

اين تعلم المتنبي
— ٦ —

عرفنا اين ولد المتنبيء ، وعلمنا ما تيسر لنا علمه من نسبه وعروبته ، فأين تعلم القراءة والكتابة ، واين طلب أدبه ولغته ، وهل كان لمدرسته آثار في عبقريته ، هذا ما أبحث عنه واياكم في مجلسنا هذا .

قال ابو الحسن محمد بن يحيى العلوي : كان ابو الطيب محبا للعلم والادب فصحب الاعراب في البادية وجاءنا بعد سنين بدويا قحاً ، وكان تعلم القراءة والكتابة فلزم اهل العلم والادب واكثر من ملازمة الورّاقين فكان علمه من دفاترهم .

وقال الثعالبي : ذكرت الرواة ان اباه سافر به الى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ، ومن مدرها الى وبرها ويسلمه من المكاتب و يردده في القبائل ومخايله نواطق الحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، حتى توفي ابوه وقد ترعرع ابو الطيب وشعر و برع .

وقال صاحب الطبقات : وأقام بالبادية وطلب الادب وعلم العربية ونظر في ايام الناس .

وقال ابن خلكان : واشتغل بفنون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ اباعلي الفارسي صاحب الايضاح والتكملة قال يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ، فقال المتنبيء في الحال ، حجلي وظربى ، قال الشيخ ابو علي : « فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده » .

من هذا يتبين لكم ان اباالطيب قد جهد نفسه في طلب الادب واللغة فكانت له دفاتر يدرسها في الليل وربما مضى من الليل اكثره وهو يدرس وكان كثير الاشفاق على هذه الدفاتر اذا سافر اخذها معه لانه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً ، ولسنا نعرف هذه الدفاتر ولا ندري بما كانت تشتمل عليه ، وانما نقل عنه انه كان يروي شعر ابي تمام و يقول

« او يجوز للاديب ان لا يعرف شعر ابي تمام ، وهو استاذ كل من قال الشعر بعده » فالمتنبي درس كثيراً وقرأ كثيراً فمن الشعراء الذين نظر في شعرهم البحتري وابن الرومي وابو تمام ومسلم بن الوليد و بشار وابو نواس وابن المعتز والفرزدق وعمرو بن كلثوم وامرؤ القيس والاعشى وبعض رجّاز العرب وغيرهم من الذين لا يخلو شعره من رسومهم واني لا اجاوز في هذا المقام الاشارة الى ثقافته العامة فأتخطّى الكلام على تجاريبه في الحياة وعلى مافتقت له هذه التجاريب من ضروب الحكم :

اذا ما الناس جربهم لبيب فاني قد اكلتهم وذاقا

واتخطّى الكلام على نظراته الفلسفية مرجئاً هذا كله الى حين البحث عن هذه النظرات فلا اتعرض في هذا المجلس الا لآثار مدرسته الاولى في شعره .

للبادية في ثقافة المتنبي آثار ظاهرة على شعره في كل طور من اطوار هذا الشعر فهو ابن البيد والفيافي من افق البادية درج خياله ، وفي جو البادية نما هذا الخيال فلا عجب اذا علقت بذهنه صور هذه البادية ، الف المتنبي ابل البادية وخيلها ومهامهها ومفاوزها وغزوها وصيدها وسيوفها وقناها ، فلا تجدون في كثير من شعره فرقاً بينه وبين الاعراب الذين صحبهم في التغني بكل امر من امور البادية ولا يكاد شعره يخلو من آثار صهيل الخيل وقعقعة اللجم وصرير العوالي ، فالبادية اول مدرسة درس فيها المتنبي وكما ان للبيئة وللزمن وللدم تأثيراً في العبقرية فكذلك التربية فانها لا تخلو من التأثير في الاذهان ، الف المتنبي البادية فلم يخف عليه امر من امورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج اليها ابن البادية في وصف ابله وخيله وسلاحه وضروب ذلك ، وقد رسخت في ذهنه صور البادية من حداثة سنه الى آخر يوم من ايامه ، حتى انه اذا فارق الاعراب وجالس الملوك والامراء والوزراء ، كانت صور البادية ترجع الى ذهنه من حين الى آخر فلست اعرف شاعراً اعند من المتنبي في الحرص على آثار تربيته الاولى ، جالس الملوك والامراء والوزراء فلم يقلع عن اعرابيته ، وعرضت عليه الحضارة مشاهد رائعة فلم تنزع به عن بدويته ، فقد غلبت عليه صور البادية فلنبين هذا الامر على قدر ما يتسع له مجلسنا .

للمتنبي اربعة اطوار في شعره ، طور وهو يجول في اقطار الشام قبل اتصاله بسيف

الدولة ، وطور وهو في ظلال سيف الدولة وطور وهو في حضرة كافور الإخشيدي وطور وهو في بلاد فارس ، فلننظر في آثار البادية على شعره في كل طور من هذه الاطوار الاربعة ·

لما كان المتنبيّ يجوب آفاق الشـام ويمدح رجالها وذلك في اول نشأته وترعرعه كانت آثار الثقافة البدوية ظاهرة على شعره كل الظهور فان خياله الذي نما في البادية كان خيالاً على فطرته الاولى فكأنه اعرابي لم يأنف الحضر ·

برتني السرى بري المدى فرددنني   اخف على المركوب من نفسي جرمي
وابصر من زرقاء جو لانني   متى نظرت عيناي ساواهما علمي
كأني دحوت الارض من خبرتي بها   كأني بنى الاسكندر السد من عزمي

فالاشارة الى السرى والى حدة البصر والى الخبرة بالارض كل هذا من مذاهب اهل البدو الذين لا يقيمون ببقعة من الارض دون بقعة ·

اواناً في بيوت البدو رحلي   وآونة على قتد البعير

فتارةً كان يتغنى ببنات الجديل و بالفتنه المجاهل والفلوات ·

نحن ركب ملجن في زي ناس   فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجديل تمشي بنا في البيد   مشي الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها   اثر النار في سليط الذبال

وتارة كان يتغنى بسيفه :

كفرندي فرند سيفي الجراز   لذة العين عدة للبراز
تحسب الماء خط في لهب النار   ادق الخطوط في الاحراز
كلما رمت لونه منع الناظر موج   كأنه منك هازي ·····
ودقيق قذى الهباء انيق   متوال في مستوى هزهاز

الى آخر ما وصف به هذا السيف ·

هكذا كان دأبه في الشدو بأمور البادية ولقد تجلت شنشنته هذه في اراجيزه التي كان يتشبه فيها بالاعراب منها ارجوزته :

ما للمروج الخضر و الحدائق   يشكو خلالها كثرة العوائق

فكان له حجر تسمى « الجهامة » ولها مهر يسمى « الطخرور» فاقام الثلج على الارض بانطاكية وتعذر المرعى على المهر فقال المتنبيء ارجوزته هذه ومن قرأها حسب بدوياً يصف الخيل .

كل هذا من آثار مدرسته الاولى ولقد اثرت فيه هذه المدرسة من الناحيتين المادية والمعنوية حتى انه اذا تغزل كان يتغزل بالاعرابيات :

هام الفؤاد باعرابية سكنت　　بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا

واذا شبه في غزله جرت على خاطره في الحال تشبيهات اهل البادية ، فالرماح والسيوف ادوات يلجأ اليها في هذا الغزل :

من طاعني ثغر الرجال جآذر　　ومن الرماح دمالج وخلاخل

ولذا اسم اغطية العيون جفونها　　من انها عمل السيوف عوامل

على انكم تجدون في بعض الاحوال آثاراً حضرية الى جنب هذه الآثار البدوية خالية من السيوف والرماح وما شابه ذلك :

لبسن الوشي لا متجملات　　ولكن كي يصن به الجمالا

وضفّرن الغدائر لا لحسن　　ولكن خفن في الشعر الضلالا

نعم انكم لتجدون في بعض غزله وشي الحضارة ونعومتها :

حسان التثني ينقش الوشي مثله　　اذا مسن في اجسامهن النواعم

ويبسمن عن در تقلدن مثله　　كأن التراقي وشحت بالمباسم

ليس معنى هذا ان المتنبيء لم يصف مشاهد الحضر ولكن البادية شغلت القسم الاعظم من خياله فاذا وصف مشهداً من مشاهد الحضر عادت الى ذهنه في الحال صور البادية لنضرب مثلاً لذلك .

من قوله في قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي وقد تصدى لوصف بحيرة طبرية :

لولاك لم أترك البحيرة　　والغور دفيء وماؤها شبم

والموج مثل الفحول مزبدة　　تهدر فيها وما بها قطم

والطير فوق الحباب تحسبها　　فرسان بلق تخونها اللجم

كأنها والرياح تضربها جيشا وغى : هازم ومنهزم
كأنها في نهارها قمر حف به من جنانها ظلم

فأنتم ترون انه لما أراد ان يشبه الموج شبهه بهدير الفحول ، ولما أراد ان يشبه الطير وهي فوق الحباب شبهها بفرسان خيل بلق ، ولما أراد ان يشبه الرياح وهي تضرب الطير شبهها بجيشي وغي ، فالفحول وفرسان الخيل والجيوش والماء الشبم والقطم كل هذا لايخلو من اثر بدوي ، واذا أردتم ان تعرفوا الفرق بين هذا الخيال البدوي وبين الخيال الحضري فارجعوا الى وصف ماء لشاعر من شعراء العرب ، ارجعوا الى وصف البحتري للبركة ، ومن شروط المقايسة والموازنة ان تأخذوا قصيدتين في موضوع واحد ، اذ انه لا تصح الموازنة بين قصيدتين مختلفتين في الموضوع ، فالمتنبي وصف بحيرة طبرية والبحتري وصف البركة ، وقد سمعتم وصف ابي الطيب فاسمعوا شيئاً من وصف البحتري ، ولا يتسع المقام لذكر الابيات كلها وانما اذكر طائفة منها :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها وريق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

الى غير ذلك من وصف السمك وعومه والرياض وبشاشتها ، وانا أترك لكم الحكم على الفرق بين الوصفين فانكم ولاشك تعترفون معي بان الفضة البيضاء ومضاحكة الشمس وما شابه ذلك انما هو كلام حضري لا أثر للبداوة عليه .

هذا هو الطور الاول في شعره فلننظر الى ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة فقد وجد في هذه الظلال الوارفة أفقاً مديداً يسرح فيه خياله البدوي فانه لما اتصل بسيف الدولة سلمه الى الروّاض فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة ، وصحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم فتصرف المتنبيُّ في وصف هذه الحروب والغزوات أبلغ التصرف اعانته على ذلك امور شتى منهـا تربيته الاولى ومصاحبته للاعراب وما أثرت فيه هذه المصاحبة من الآثار التي شهدتم منها شيئاً في شعره في طوره الاول وهي كلها سبيل ممهدة

الى وصف الحروب ، ومنها مصاحبته لسيف الدولة في هذه الغزوات فاذا وصف انما كان يصف بعد العيان فاكثر شعره في سيف الدولة وصف فيه هذه الحروب فلا نتعرض في هذا المقام لشيء من هذا الوصف لان هذا يأتي في الكلام على شعره ، وانما غرضي في هذا المجلس ان أبين ان المتنبي كانت تغلب على شعره آثار البداوة وان هذه الآثار جاءته من مدرسته الاولى وما هذه المدرسة الاولى الا البادية ولئن كان ابوه يسافر به من البدو الى الحضر فان صور البدو شغلت الناحية الكبرى من خياله ، فهل تبدل خياله البدوي وهو في ظل سيف الدولة ، هل اقل من التغني بالابل وبقوته على السير وماشابه ذلك فلننظر في هذا كله .

لما اتصل بسيف الدولة اتصل بملك قد روي من نعيم الحضارة وترفها فأخلق بابي الطيب ان تظهر على شعره آثار هذه الحضارة فأول قصيدة قالها فيه وصف فيها فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصورة وحش وحيوان وقد جلس سيف الدولة على هذه الفازة فقال ابو الطيب :

وأحسن من ماء الشبيبة كله حيا بارق في فازة انا شائمه
عليها رياض لم تحكها سحابة واغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحاً به يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه
وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة لا بلج لا تيجان الا عمائمه

فأنتم تجدون في هذا الشعر صوراً حضرية حتى ان غزل المتنبئ ظهرت عليه آثار رقة الحضر فقد عدل في غزله عن السيوف والرماح الى الأزاهير والرياحين :

سقاك وحيانا بك الله انما على العيس نور والخدور كمائمه

ومنه قوله :

وغضبي من الادلال سكرى من الصبي شفعت اليها من شبابي بريق
وأشنب معسول الثنيات واضح سترت فمي عنه فقبّل مفرقي

وأجياد غزلان كجيدك زرنني فلم أتبين عاطلاً من مطوق

ومنه قوله :

واني لأعشق من أجلكم نحولي وكل امريءٍ ناحل

ولو زلتم ثم لم أبككم بكيت على حبي الزائل

ولكنه مع هذا كله لم تفارق صور البادية ذهنه فكان يرجع اليها في بعض غزله فيرجع الى السيوف وأشكالها :

وقد طرقت فتاة الحي مرتدياً بصاحب غير عزهاة ولا غزل

فبات بين تراقينا ندفّعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبل

ثم اغتدى وبه من درعها أثر على ذؤابته والجفن والخلل

و يرجع الى هذه الصور في المراثي نفسها :

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

ونرتبط السوابق مقدمات وماينجين من خبب الليالي

ومنه قوله في هذه القصيدة :

لساحيه على الاجداث حفش كأيدي الخيل ابصرت المخالي

والحفش والمخالي والخبب وارتباط السوابق كل هذا من آثار البدو ولا ريب في ذلك .

فابو الطيب في التبدل اليسير الذي تبدله وهو في افياء سيف الدولة اي في افياء النعيم والترف كان يعود الى شنشنته في التغني بالابل و بالقوة على السير الى غير ذلك من مذاهب الاعراب واهل البدو ، فمن وصفه للابل :

وحكمت في البلد العراء بناعج معتاده مجتابه مغتاله

يمشي كما عدت المطي وراءه و يزيد وقت جمامها وكلاله

وتراع غير معقلات حوله فيفوتها متجفلاً بعقاله

فغدا النجاح وراح في اخفافه وغدا المراح وراح في ارقاله

نعم انه لا يكاد ينسى فرسه ورمحه وسيفه وناقته حتى مواطن الغزل :

ـلي عن سيرتي فرسي ورمحي وسيفي والهملعة الدفاقا

ولا يكاد يذهل عن الخيل والبيداء :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صحبت في الفلوات الوحش منفرداً حتى تعجب مني القور والاكم

***

هذه هي شنشنة المتنبي وهو في ظلال سيف الدولة المديدة فلننظر اليه لما غضب على سيف الدولة وترامت به البيد والفيافي الى كافور الاخشيدي ، فلننظر اليه هل اقلع عن هذه الشنشنة ام لازمته في مصر ، اظن انه لم يقلع وهو في مصر عن شيءٍ من هذه العادات البدوية فقد عاد الى دأبه من ذكر الخيل والقنا والعوالي وماماثل ذلك حتى في اول قصيدته في كافور .

وجردا مددنا بين آذانها القنا فبتن خفافاً يتبعن العواليا

تماشي بايد كلما وافت الصفا نقشن به صدر البزات حوافيا

وتنظر من سود صوادق في الدجى يرين بعيدات الشخوص كماهيا

وتنصب للجرس الخفي سوامعاً يخلن مناجاة الضمير تناديا

ولما طالبه كافور بذكر الدار التي بناها على البركة بازاء الجامع الاعلى لم يقل شيئاً في وصفها يسمى وصفاً فكأنه يحتقر الدور .

مستقل لك الديار ولو كان نجوماً آجر هذا البناء

ولوان الذي يخر من الامـ واه فيها من فضة بيضاء

فكان يحاول التخلص من الوصف الى المديح والوصول الى ذكر الجياد والسمهرية السمراء والصوارم البيض والهيجاء

وبسابيك الجياد وما تحمـ ل من سمهرية سمراء

انما يفخر الكريم ابو المسك بما يبتني من العلياء

وبايامه التي انسلخت عنه وما داره سوى الهيجاء

وبما اثرت صوارمه البيض له في جماجم الاعداء

لا بما يبتني الحواضر في الريـ ف وما يطبي قلوب النساء

فاين هذا الخيال من خيال البحتري في وصفه لقصور بني العباس في بغداد ·
نعم لم يقلع عن هذه الشنشنة حتى ولا في غزله فهو لا يحب الا البدويات :

ما اوجه الحضر المستحسنات به كاوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب
اين المعيز من الارام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب
افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام ماثلة اوراكهن صقيلات العراقيب

ولما اصابته الحمى وهو بمصر ووصفها لم يغفل في وصفه عن التغني بما يتغنى به الاعراب عادةً

ذراني والفلاة بلا دليل ووجهي والهجير بلا لثام
فاني استريح بذي وهذا واتعب بالاناخة والمقام
عيون رواحلي ان حرت عيني وكل بغام راحلة بغامي
فقد ارد المياه بغير هاد سوى عدي لها برق الغمام

فانتم ترون في هذا كله آثار ما يتغنى به الاعراب عادة فسلوك الفلاة بلا دليل واعتياد السير في الهجير بغير لثام والمعرفة بدلالات النجوم بالليل وعد برق الغمام كل هذا مما يفتخر به اهل البدو ·

ولما فارق مصر وورد الى الكوفة وصف منازل طريقه فكأن المتنبي متلفع بثوب بدوي في هذا الوصف :

الا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيدبى
وكل نجاة بجاوية خنوف ومابي حسن المشى
ولكنهن حبال الحياة وكيد العداة وميط الاذى
ضربت بها التيه ضرب القمار اما لهذا واما لذا

وكذلك لما رثى ابا شجاع فاتكاً وهو في الكوفة بعد خروجه من مصر اشار الى العيس:

لا ابغض العيس لكني وقيت بها قلبي من الحزن او جسمي من السقم
طردت من مصر ايديها بارجلها حتى مرقن بنا من جوش والعلم

تبري لهن نعام الدو مسرجة تعارض الجدل المرخاة باللجم

***

هل رغب المتنبي عن مذاهب اهل البدو في آخر طور من اطوار شعره فانه لما خرج من مصر وقدم العراق ثم شخص من العراق الى بلاد فارس اتصل بابن العميد وبعضد الدولة وعرف ان الذين يجالسهم في فارس هم غير الاعراب واشار الى ذلك في اماديحه في ابن العميد :

من بلغ الاعراب اني بعدها جالست رسطاليس والاسكندرا
وملت نحر عشارها فاضافني من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدئاً متحضرا

نعم جالس المتنبي في بلاد فارس امثال رسطاليس وبطليموس وجارى الفرس في عاداتهم في النيروز في اتخاذ اكاليل من النبات والزهر ولبس هذه الاكاليل :

مالبسنا فيه الاكاليل حتى لبستها تلاعه ووهاده

وشهد مشاهد تأخذ بمجامع القلوب مثل شعب بوان :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ومع هذا كله فقد بقي بدوياً قحاً كما كان في صباه شهد هذه المشاهد كلها فلم يزهد في اعرابيته ولئن رق غزله بعض الشيء وخرج من التغزل بالبدويات الى التغزل بالشاميات :

شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محياها
فقبلت ناظري تغالطني وانما قبلت به فاها
فليتها لا تزال آوية وليته لا يزال مأواها
تبل خدي كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها
ما نفضت في يدي غدائرها جعلته في المدام افواها

لئن رق هذا الغزل بعض الشيء ولئن تبدل خياله بعض التبدل فما تبدلت اعرابيته حتى انه عاد في القصيدة نفسها التي تغزل فيها بالشاميات الى ذكر الغزو والصيد وقد كنت تلوت عليكم ابيات هذا الغزو وهذا الصيد :

ان اعشبت روضة رعيناها او ذكرت حلة غزونا ا

وعاد الى التغني بالقنا والطعان :

فاما تريني لا اقيم ببلدة فآفة غمدي في دلوقي وفي حدي

يحل القنا يوم الطعان بمقوتي فاحرمه عرضي واطعمه جلدي

تبدل ايامي وعيشي ومنزلي نجائب لا يفكرن في النحس والسعد

لئن بدلت هذه النجائب ايامه وعيشه ومنزله فما بدلت اعرابيته ، وارجوزته في عضدالدولة وقد خرج للصيد دليل على تعلقه باهداب هذه الاعرابية وهي من آخر شعره :

ما اجدر الايام والليالي بان تقول ماله ومالي

فآثار مدرسته الاولى ظاهرة على شعره من ابتداء امره الى منتهاه .

دمشق : في ١٥ آذار سنة ٩٣٠

المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية[1] »

— ٢ —

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب و يتلذذ بحلاوتها . وبما أن هذه الثمار موقوتة لا تدوم ادخرها الانسان مدفوعاً بعامل اللذة . فكانت تتخمر فيأكلهـا متخمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتستهويه سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كلما نال منها وطراً يجد في وصلها طلباً . وكلما رشف منهـا وشلاً تلظى لكاسها ظماً . وكلما ارتقى في الحضارة باعاً زاد في صناعتها ابداعاً صنوفاً وانواعاً . الى ان اهتدى منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى الغول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكّر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى النشوة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إسار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء الغول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي الممات . فأعجب بها من معشوقة ممقوتة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مليكة ، وطريدة منشودة ، ومباحة محرمة ، وعاهرة مشرّفة ، لا يضنيها الوصل ، ولا يفسد من ملامحها الدهر . يأتيها المرء لاول مرة مجـاملة او تشبهاً ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على امره . فليت شعري ما علة هذا الولوع بذلك الممنوع . وما السر في هوى بنت الغواية والهوى ؟

الاسباب : منها ماهو حيوي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ماهو نفساني . فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد أثبتت المشاهدات العلمية ان لنسل الغولبين استعداداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج الغربيين أشدّ الى شرب الخمور من احتياج

---

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ نيسان سنة ١٩٣٠ م .

الشرقيين بدافع العامل الوراثي · ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤتلف شرب الخمور ادعى الى انتشار معاقرتها من الوسط الذي يحرمها قانوناً او شريعةً او عادة ، ومنها المعتقدات والعدوى الأخلاقية وحب التقليد والمجاملات في الاجتماعات الخاصة والعامة ·

ومن الاسباب النفسانية ، وهي لعمري العامل الأقوى في انتشار المسكرات مابين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال · طلب السعادة ، واي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياح النفسي الذي يحدث عندما تحقق اهواء الانسان الكامنة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الغريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية ، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لان التقاليد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تحظر على المرء إتيان ما يخالفها مما تشتهيه نفسه و يصبو له قلبه ، وتضطره الى كتمان ميله وشهوته وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى مايستوجب الخزي والعار ، ومن الاخرى مايستدعي القصاص والدمار ، فلا تبيح للوضيع الطموح ان يكون ملكاً تعنو له الرقاب ولا للفقير ان يكون غنياً يتنعم برغد العيش وأبهة الحياة ، ولا للغني ان يدفع بماله مرضاً عضالاً او يستهوي به قلب غادة فتانة ، أسرته لحاظها ، وأقصاه عنها عفافها ، ولا للعاشق ان يغازل عشيقته على مرأى من الناس او مسمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف بيده ليشفي ببطشه غلة ، ولا للجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسد به رمقه ، ولا للصديق ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار تتأجج من الحب والهوى · الى غير ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر · لما كان تحقيق كل هذه الأهواء متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة · وهي نسبية شخصية و بات الشقاء البشري عاماً لا يخفف وطأته الا الايمان بالسعادة الاخروية وفسحة الامل ·

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها من الظهور والتحقق فيسبب بهذا المنع تململ النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل · فالعقل هو القوة الوحيدة التي تردع الانسان عن خرق القوانين و لأحكام ، ومخالفة التقاليد والعادات ،

وهتك الشرائع والاديان ، وتحمله على حرمتها ورعايتهـا هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الاهواء المخالفة للآداب والتاريخ والشرائع · فيمنعها من الظهور في حيز الشعور ، ويحصرها في سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تفنى بل تستحيل الى قوى كامنة مبهمة لاشعورية ، تتكيف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف دائم مع العقل بغية الظهور والتحقق ، فينشأ عن هذا الجدال اللاشعوري عدم الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المبهم الذي قلما يهتدي المرء الى تعليله وايضاحه · فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وبعبارة اخرى اخذ الانسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية ، اي منذ خرج من الحيوانية ، وبدأ يعقل · ولا مشاحة فهل الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي يتململ منها اليوم كل أنسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل الانسان على حرمتها ورعايتها · وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه هذه الحقيقة ، فجعلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك قول الشاعر : ما لذة العيش الا للمجانين ·

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقوله : تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى منهـا وما يتوقع

وقوله · وبعض العقل عقال :

وقول ابي جعفر القحي :

تحامق تطب عيشاً ولا تك عاقلاً فعقل الفتى في ذا الزمان عدوه

ولابي الربيع محمد بن علي الصفار البلخي :

طاب عيش الرقيع في ذا الزمان والجهول الغفول والصفعان

وانشد ابو منصور مهلهل بن علي الغنوي :

الروح والراحة في الحمق وفي زوال العقل والخرق

فمن اراد العيش في راحة فليلزم الجهل مع الحمق

وجاء في النظرات للمنفلوطي في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في هذه الحياة العقلاء ، ويقولون ما لذة العيش الا للمجانين ، اندري لماذا ؟ لان نصيب

الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصيب الآخرين . وذلك ان عقل العاقل يحول بينه وبين استمرار الطيران في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى مابين يديه من الحقائق الملموسة . ولا يسمح له علمه باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفته ان المصائب والآلام ، لازم من لوازمها التي لا تفارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار الهناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤملين ، ولا يتلذذ بتصديق مالا يكون تلذذ المجانين » .

ولما كانت الغرائز الحيوانية تأبى ان تضمحل وتفني بتأثير العقل . توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يتملص من قيود عقله ، ليتجرد عن آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاهتدى الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيا والعليا فتخدرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والغول الذي نحن في صدده . وقد تفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسمّ دماغه بارادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية . والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنوناً اختيارياً موقوتاً .

قال المنفلوطي في كلمته الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المولعين بتخدير أعصابهم ككشاربي الخمور ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الافيون وهي وان كانت في نظرهم حياة سعادة يتخللها شقاء . الا انها خير عندهم من حياة شقاء لايتخللها سعادة . ولولا حب الحياة الشعرية ماوُجد في الناس هذا الجم الغفير من الشعراء المتخيلين والعابدين المتبتلين .

لا يجد السكير لذة العيش وهناءته الا اذا أسلم نفسه الى كأس الشراب فنقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف ، يرى فيه كل ماتشتهي نفسه ان تراه . فان كان قبيح الوجه مشوه الخلقة ، تخيل انه شرك الابصار وفتنة النظار ، وان القلوب محلقة على جماله ، تحليق الأطيار على الأشجار ، وان كان فقيراً معدماً لايملك فلساً واحداً توهم انه جالس على عرش الملك ، والصولجان في يمينه ، والتاج فوق رأسه . واعتقد ان عبيد الله تعالى جميعهم عبيده ، وجنود المملكة باسرهم جنوده حتى ذلك الجندي الذي يسحبه على وجهه الى غرفة السجن ليقضي فيها ليلته .

وجملة القول ، ان عينه لاتقع على مايحزنه من المنظورات ، وان أذنه لاتسمع ما ينفره من المسموعات حتى ليرى الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء . ويسمع في صوت الرعد القاصف ألحان الغناء .

فالسكر هو والحالة هذه جنون عارض يتصف بتغير الأفعال النفسية من درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والهذيان ، الى الخدر والخبل ، حسب كمية المادة المسكرة وكيفيتها وحالة الشارب ومزاجه . واليكم صورة مصغرة للانسان الذي يتعاطى شرب الغول حسب الادوار الحادة التي يجتازها . وهي تقسم الى خمسة أدوار دور النشوة ودور الثمل ودور السكر ودور السبات ودور الفالج .

فالنشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع القليل من الغول . او هي الدرجة الاولى من السكر . وهي تشبه باعراضها النوع الجنوني المعروف بالمانيا او الجنون السبعي . وتتصف بنشاط الجسم وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضيء العينان . ويزداد عدد الضربات القلبية ، والمبادلات التنفسية ، وتخدر الأعصاب ، وتسكن الآلام . ويشعر المرء بحرارة لطيفة في جميع أعضائه ، وخفة في جسمه ، ويخيّل اليه ان قواه قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، وينطلق لسانه ويكثر كلامه ، وتتوارد خواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم تناسق في تداعيها . وتتوقد الذاكرة وتسرح المخيلة . فيذكر ما كان ناسياً ويبتدع من الصور الخيالية مالايقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز والامثال والكنايات والنقد . اما محاكمته ومميزته فيستولي عليهما الضعف والخفة . فتأتي قياساته واهية لسرعة الحكم ، وتحول البداهة والعجز عن اعمال الذهن والتأمل . وبالنظر لخدر الناقدة والمراقبة تنطلق اهواؤه المحصورة من قيودها . فتتجلى ثمة حقيقته الجبلية . فيبوح بكثير من أسراره التي طالما حرص على كتمانها . ولهذا قيل الغول ، معيار الاشخاص ، ومحك الطبائع . ويعتري السكير في هذا الدور الغرور والأنانية ، والغطرسة ، فيمسي سريع الانفعال ميالاً للبطش والمشاجرة . محباً للمدح والثناء اللذين يدفعانه الى الكرم والاسراف . والغول يخل التوازن القائم ما بين ظاهر المرء الصنعي وباطنه المكتوم . ومن الخطإ الفادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست فيه موجودة لان الاناء

لا ينضح الا بما فيه . ولما كانت طبائع الناس وأخلاقهم ونزعاتهم الجبليـة والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع صورة عامة تنطبق على كل امرئ في حال النشوة الغولية . ولهذا يمكننا القول بان لكل انسان صورة خاصة يتمثل بهـا اثناء السكر ، وان الغول خير كشاف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتمان . وكثيراً ما يتوصل به الدهاة الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وجنائية .

تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة بانحلال قوة العقل والمراقبة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبهيمية على اهوائها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور اللذة والنشاط ، والحرية النفسية والخيـال ، دور الانطلاق والانشراح ، المتعارف في الاندية والمجتمعات العامة والحفلات الرسمية والخاصة ، ويسمونه العادة المعتدلة والسكر الادبي والكأس المشهية . اما في لغة العلم فهو جملة اعراض سم الدماغ الغولي الاولى ، اوالجِنة السبعية الغولية الخفيفة .

واذا كان القسم المحتشم ذو الثقافة الاجتماعية من الناس ، يقف عند هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر منهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور الثمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هـذا الدور بخمود النشاط الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور الاخلاقي . فالنشوان شارد الفكر والعواطف اما الثمل فهو طائش الشهوات والغرائز ، لا سيما الحس التناسلي ، فان هذه الشهوات تستولي على انانيته وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالتقـاليد والآداب العامة ، فيهبط من المعنويات الى الحسيات ، و يتعرض لما فيـه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث السب والشتم والضرب والقتل، في سبيل المرأة في المراقص وعلى موائد السكر عنا بغريبة ، واذا اضفنا الى هذه الاعراض نشاط الشعور الغامض وهو القسوة والخيلاء وسرعة التهيج وعدم الشعور بالواجب تجلى لنـا صورة الثمل باجلى مظاهرها . اما المدارك العقلية فانها تخمد ما عدى المخيلة فانها تنطلق بصورة خاصة ، فيأخذ الثمل بالثرثرة وخلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف عما يشـاهد في الهذيانات الحادة على اختلاف صورها وموضوعاتها .

وتزداد هذه الاعراض بازدياد تجرع الغول فتظهر في نهاية هذا الدور اعراض تأثير

السم في اعصاب الحركة . فيختل نظام الحركات العضلية وتفقد دقتها ، وتعتري السكير الرعشة والاضطراب فلا يتماسك في المشي ، وتختل موازنته ، و يسترخي كلامه ، و يتداعى الى الجمود والخمود الفكري والحسي الى ان يدخل الدورالرابع دورالسبات ، دور النوم والخدر الدال دلالة واضحة على ان المسكرات الغولية مخدرة وليست منبهة كما كان يظن ، وانها من فصيلة الافيون والحشيش ، فيفقد السكير ثمة قواه الحركة و يصبح عاجزاً عن المشي فيقع حيثما يهوي به السكر ، خائر القوى محني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحران مظلم من الحياةالذاتية المبهمة ، يقبض بيديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التملص من هذا الكابوس النومي القاهر ولكن هيهات هيهات فما هي الا هنيهات من الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقدها حياتها العملية . و ينزل بالسكير من درجة الحيوان الى مصاف النبات .

وهنا يتمثل لنا الدور الاخير من هذه المأساة المفجعة ، دور الفالج ، فيتراءى لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبيل ساعات قليلة جثة هامدة بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس خشنة تتصعد ، ونبضات قلب خائر تتابع ، تنتشر منها روائح كريهة لفلج مصرفي البول والغائط مما تقذى لمنظره الاعين ، وتمج وصفه الآذان .

هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي يتجلى بها السكيرمنذ اول قطرة يتجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث مجموعها ونتائجها احوال سفينة في عرض البحر اصابها اعصار شديد افقدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، واقدام واحجام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكد يراها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكونها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعتري روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم تتوال عليها الزوابع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكمة الروابط ، سالمة متينة . اما اذا راجعها الاعصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكمة الرباط فانها لاتلبث ان تخرب وتصير الى الغرق .

وهكذا غد السكير ايها السادة فان الاعراض التي اتيت على ذكرها ، تتلاشى رويداً رويداً باحتراق الغول في الجسم وطرده منه بالافراز والمبادلات عن اختلاف اعضائها

فيعود للمرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاحتراق والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تخريب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء بادئ بدء لدقته ولكنه يتفاقم و يظهر كلما تكرر حادث النشوة والسكر ، وبنسبة كمية الغول وكيفيته ، والزمن والبنية ومقاومة الجسم . فتبدأ ثمة اعراض داء السكر المزمن او الغولية وهي داء عضال ينذر بتغلب الغول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم الناقع . و يدل دلالة واضحة على ان تلك المسرة الاولى او الوشنة المشهية الصحية المباحة لا بد لها من ان تترك اثراً في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فتنشأ عنه حسرات وآلام تنسي صاحبها تلك الاحلام فيندم ولات ساعة مندم . وقد اثبت الدكتور ميلانبي (Mellanby) تراكم فعل المقادير القليلة من الغول في الجسم واضرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة الغول في انكلترا المنشور عام ١٩١٨ كما اثبتت احصاآت شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصرف الخالص اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة السكيرين المدمنين ، وتعد هذه الاحصاآت اليوم حقائق علمية راهنة لانها قائمة على اسس من المشاهدات مكينة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت ثابتة ومتقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

الغولية — . ويبدأ داء السكر المزمن او الغولية عندما يصبح الدماغ عاجزاً عن تحمل فعل الغول . ويتجلى بتغير في طباع المرء واخلاقه ، فترى ذلك الشاب المهذب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثالاً للنشاط والجد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب يحاول الشرود والتملص من طباعه وعاداته متجهاً نحو حياة ذاتية وانانية بحتة ، فيعاشر من لم يكن يأتلف معهم من الناس ، و ينقطع عن ارتياد داره في الاوقات المعتادة ، وتخشن معاملته ذويه ، ويهمل واجبه نحو اسرته ، ويكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يلذ له شرب المسكر ، ولعب الميسر . وقد جعل فريق من الحكماء هذا العته الاخلاقي العرض الاساسي للغولية المزمنة . وقد دعوها الجنون الاخلاقي المكتسب . وذلك لان

الاختلال يعم فيها جميع اقسام الفعـالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع اسرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصناعية .

اما علائم فساد العلاقات الذاتية فاهمها : عدم احترام الذات وعدم الاكتراث بهما وفقد الإباء ، والشرف والمروءة والنخوة والوجدان والنزاهة والعفة ، والنظافة والحشمة وحس الجمال ، وحرمة المبادئ العامة الدينية والاجتماعية . ومن علائم فساد علاقاته بأسرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، ، وغريزة التناسل والاهتمام بتهذيب الاولاد والحنو الغريزي الابوي ، والتوقي والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد .

واما فساد علاقاته مع غيره: فيتجلى بضعف الصداقة ، وفقد المودة والمفاداة والرأفة وحب الاحسان . واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي للكسل ، وفقد النشاط للعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المبادئ العامة .

اضف الى ذلك شراسة الخلق ، والتهور وسرعة التأثر ، وسوء الظن وانقباض النفس ، وحمل الامور على غير محملها ، والاستئثار بالرأي ، والفكر الثابت والفعـالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوئ الخلقية التي نشاهدها كل يوم في من نعهد فيهم السكر المزمن .

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذا مع ضعف الملكات العقلية ولاسيما النباهة والمحاكمة وقابلية الائتلاف ، والذاكرة والقياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني و يتجلى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما نقاس اعمال الغولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل اليقظ النشط ، يرتكب انواع الخطأ في عمله و يتداعى للاهمال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية . وترى ذلك الرسام الذي كان يبتدع من المناظر مايفتن النظر و يخجل الطبيعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالباب ببيانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس و يتلاعب بالقلوب يتدهورون رويداً رويداً بتأثير السم في رؤوسهم الى ما دون الحد الوسطي من الناس ، وليت هذا السم يقف تأثيره عند تخريب الدعائم الدماغية العليا فقط ، بل يتعداها الى مراكز الحواس فيسمها فيمسي الغولي مسيراً بحواس مريضـة ينشأ عنها خطأ الحس

والاوهام السمعية والبصرية والذوقية والمسية ، والتخيلات والاحلام المزعجة ، والكابوس والارق المتواصل . وفي ذلك منتهى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يجتازها الغولي منذ الكأس الاولى حتى الثمالة ، وقد يهون الخطب فيما لو كان هذا الداء فردياً يعيش مع صاحبه و يزول بزواله كجل الامراض التي لا تتعدى الفرد الى سواه . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد و يهدد الأسرة والهيأة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهيار كيانها. ولقائل يقول ان من الامم من تتعاطى المسكرات من آلاف السنين وهي لم تزل حية تتمتع بقوتها وفرط عظمتها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصبح مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الأمم وحياة العنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يبح بيعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٧٨ عرض الغول للبيع لاول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم يتفش في اوربة الا في القرنين الاخيرين . عندما اهتدت الصناعة الى استحصاله بتقطير الحبوب والشمندر . ولان الحياة باتت فيهما ثقيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمغالبتها الى الالتجاء الى منبه صنعي وجده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه وماله وولده عرضةً لاغتياله . اما مضار الغول الاجتماعية — فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسوجي مانيوس هوس (Magnus Huss) عام ١٨٤٧ حيث قام يصف مضار الغول في الجسم البشري و ينذر بوخيم عاقبته وفداحة مضاره .

اما الأقدمون فلم يكونوا ليشربوا سوى الخمر الصرف الخلو من الغش وقد سبق لنا القول في المحاضرة الاولى بانه لايحوي سوى ثمانيـة أجزاء في المئة من الغول وهي كمية زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المرء كميات عظيمة من الخمر مما لا يعانيه كل انسان ولا يتعدى حد الافراد ولهذا لم تعرف الغولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالسل والافرنجي حديث العهد أقرنه مشاهدات العلوم

الاجتماعية والاقتصادية والطبية ، ولكن الغولية ادهى وانكى لانها تنال الامة في جميع مقوماتها التناسلية والاقتصادية والاخلاقية و...

وقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور التناسلية بالغول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد الغولية . ويتلخص قوله بانه ما من انسان يرتاب اليوم بان الغول يحدث استحالة في كل من جُرَيرات اعضاء السكير التناسلية . وقد أيدت المشاهدات والتجارب العلمية السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كومبمال (Combemale) عن نسل السكيرين المنشور عام ١٨٨٨ مانصه : « يحدث ادمان السكر ضموراً في الخصى حتى ان حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . و يسترخي الصفن وعضو التناسل و يندر وجود الحوينات في المني . اما عند المرأة فيحصل ضمور في المبيض ويختل نظام الطمث اي الحيض و ينقطع قبل زمانه المتعارف .

ثم قام كيرل وشوبر (Kyrle & hcbopper) من جامعة فينا بتجارب عديدة على الحيوانات ، فأسكروا واحداً وثلاثين حيواناً بالغول بادخاله يومياً زرقاً في المعدة او في الوريد او تحت الجلد فشاهدا بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع خصاها ، بلغ عند سبعة منها درجة شديدة أفقدت الخصى كل جريراتها المنوية .

وذكر الاستاذان و يشلباوم وكيرل من فينا (Weichselbaum & kyrle) في بحثهما عن مضار الغول عام ١٩١٢ ان السم الغولي يحدث تخريباً في الخصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابداً بفقد الاقنية المنوية .

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الغولية المزمنة على أعضاء الرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح جثث ١٦٣ سكيراً ماتوا جميعهم بالتسمم الغولي فشاهد بعد الفحص المجهري ان معظم التخريب واقع في الخصى بالنسبة لسائر اعضاء الجسم .

ولقد لخص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث الغول عند مدمني السكر استحالة مبتسرة في الخصى تنتهي بضمورها وبفقد الحوينات المنوية .

(٢) وتكون هذه الاستحالة دهنية في بادئ الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الاقنية المنوية .

(٣) و يحدث هذا التخريب عينه في المبيض عند المرأة التي تدمن السكر الغولي ·

وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستحالة البذور في اعضاء التناسل بتأثير الغول حقيقة راهنة لا تقبل النقد ايدها التشريح المرضي والطب السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة ·

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصـابة بتأثير الغولية بحيث باتت معها حياتها مهددة بالفقدان فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً مؤوفاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي نغرسها في بطن الارض عاطلة بان الثمر الذي سنثمره سوف يكون عاطلاً ايضـاً ؟ ما من ذي لب يرتاب في ذلك ·

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها ومقاومتها · قال لادام (Ladame) كانت شريعة قرطجنة تحرم على العروسين شرب غير الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل · وكان رؤساء الدين في البلاد المدمنة السكر يمنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد ، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاعراس وقال ابن عبد ربه في عقده الفريد : وربما بلغت جناية الكأس الى عقب الرجل ونجله وكان المأمون يقول : يالطف الخمار ·

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان في بحثه في عاهات الاولاد العصبية المطبوع في ليبسيك عام ١٩٠٣ : ان رجلاً ولد له ولد ابله فكتب اليه انه لم يسكر في حياته الا يوم بضع هـذا الولد · مما يؤيد ايضاً ان السكر العرضي ذو دخل ايضاً في استحالة النسل ·

وذكر سباتية (Sabatier) في بحثه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٧٥ المشاهدة الآتية : رجل عفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر في حياته الا في الاسابيع الثلاثة التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غب تسعة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم توازن النفس ·

وقد ايدت مشاهدات بزولا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية

القديمة فانه درس ترجمة حياة سبعين قدماً اي ابلة فوجد ان النصف منهم بضعوا في حالة سكر الابوين يوم عيد المرفع والباقين اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ٩٣٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فشاهد ان خمسين في المائة من البله بضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر .

ودرس موللير (Muller) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم بضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .

وذكر سيبيش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد بضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقون مصابون بآفات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العلمية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات واسكرها برائحة الغول بعد تصعيده فشاهد ان صحتها لم تختل كثيراً خلافاً لاعضائها التناسلية فقد حدث فيها استحالة ادت الى فقد نسلها خواصه الاصلية فجاء مخالفاً لهيئة والديه مما يسمونه عجيبة .

و يطول بنا البحث اذا اردنا ان نأتي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتمدنة العظمى في هذا الموضوع وكله يثبت استحالة البذور المنوية عند الرجل بتأثير الغول ويدعو الى عدم ملامسة النساء اثناء السكر الشديد منعاً لفساد النسل وحفظاً لسلامته ، ولهذا أنتقل من هذا البحث الى مضار سكر المرأة بالنسل فأقول :

الغولية الولادية — اذا كان سكر الرجل يؤثر في بذوره المنوية فيفسدها فأن سكر الام اثناء الحمل يفعل في النطفة الصحيحة وهي داخل الرحم فيعرضها للاسقاط والاستحالة ، وذلك لان قسماً من الغول يطرد من الجسم كما سبق لنا بيانه في المحاضرة السابقة بواسطة المشيمة ، فينتقل من دم الام الى دم الجنين داخل الرحم فيسممه ويعرضه للغولية الولادية .

وقد اثبت كومبال (Combemale) مضار سكر الام الحامل على النسل بتجارب

علمية مشهورة ، منها انه اسكر كلبة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمل فانتجت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والرابع بخصية واحدة والاثنان الآخران مؤوفا الدماغ · ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطلب تجارب اوسكار ريدل وغاردينر بوسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bossett) على بيض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوجدا في النتيجة نقصاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدهشة الدالة دلالة واضحة على استحالة الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لانغستين (Langstein) في بحثه في تأثير الغول في النسل قال : اتى عهد على نساء فينا كن فيه مولعات ولعاً شديداً بالكلاب القزمة اي الصغيرة الجثة التي كانوا يسمونها لصغرها كلاب الاكام · لان النساء كانت يضعنها في اثناء تجوالهن في اكامهن · وقد كان من المعروف بالمشاهدة والتجارب ان الكلبات السكيرات تنتج جراءاً صغيرة الجثث · فاستفاد احد اصحاب المعامل من هذه المشاهدات فأسس معملاً لانتاج الكلاب القزمة ، وقد كان يصدر كميات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات اثناء الحمل ·

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي عظيم وان تبعته التي تقع عليها من جراء سكرها اثناء الحمل لا تقل عن تبعة الرجل من جراء جماعه في حالة السكر ·

الغولية بواسطة الرضاع ·— وهنا ننتقل من الجنين الى الرضيع لنشاهد الغول ينساب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدسم فما من طبيب في جميع انحاء العالم يعاني طب الاطفال الا و يحرم على المرضع شرب الغول أشهر الرضاع ، وذلك لان الاضرار التي يلحقها سكر المرضع بالرضيع أعظم من ان تعد وتحصى · وليست هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط · بل هي سليلة التجارب والمشاهدات القديمة العهد · فقد كانت شريعة اليونان تمنع المرضع من شرب الخمر والمشروبات المسكرة محافظة على صحة الأطفال وسلامتهم · وقد أثبت نيكلو (Nicloux) ان الغول يفرز مع اللبن عند المرضع مهما قلّت كميته التي تشربها · وهو يظهر في لبن المرضع بسرعة عظيمة قد لا تزيد على ربع ساعة من تناوله ·

اما المشاهدات السريرية الدالة على ان لبن المرضع السكيرة سم قتال للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر. منها ماذكره فرني (Vernay) في ليون مديكال عام١٨٧٢ من انه شاهد مرضعاً تشرب يومياً ست كاسات من النبيذ فأصيب طفلهـا باختلاجات عصبية شديدة كادت تودي بحياته . فأجبرت المرضع على ترك النبيذ مدة فشفي الطفل . ومن ذلك ماذكره ديفوازين (Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وفيات الأطفال في نورماندیا تزداد من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاطفال اللبن الصناعي بلبن المراضع اللاتي يتعاطين المسكرات .

ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة اي البيرا للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كمية الدرة . فيعرضون بعملهم هذا اطفالهن لانواع الآلام والآفات . ولا ينحصر ضرر الغول بالطفل فحسب بل هو يلحق بالمرضع ايضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلها خاصة الارضاع وهذه حقيقة أيدتهـا مشاهدات العلامة بونج (Bunge) واحصاآته العلمية . فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الغول في خاصة الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة الاوربية ان يوافوه بمشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضمها الى استقراآته . وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من ساكنات (بال) عاجزات عن ارضـاع أطفالهن إرضاعاً تاماً وهكذا حال النساء في سائر المدن الاوربية المركزية ، وان سبب هذا العجز هو الغولية الوراثية . وان انتشار الغولية في النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم إرضاع الأطفال إرضاعاً حقيقياً وان عدم الإرضـاع هذا سيؤدي حتماً الى نتيجتين مؤلمتين احداهما أخلاقيـة وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي فقدان المقدرة على الإرضاع . ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد الأسرة وتداعي كيان الامة . وقد أيدت نتائج بونج (Bunge) هذه مشاهدات ستمبفس (Stumpffs) في بافيرا بلاد الجعة . فانه شاهد ان فرط شرب البيرا يحدث تضخماً شحمياً في الثدي يجعلها غير صالحة للإرضاع .

الغولية ووفيات الاطفال .— ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي تنشأ عن

معاقرة الغول موت الأجنة في الأرحام وفرط وفيات الأطفال . وقد جاءت استقراآت لوليفان (Lullivan) مؤيدة هـذه الحقيقة المؤلمة . فان هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة تتعاطى شرب الغول خلال سنين معينة ولدن فيها ستمائة ولد . فشاهد انه لم يعش منهم سوى ٢٦٥ ولداً . اما الباقون وعددهم ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع . مما يجعل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين ٥٥/٨ في المئة في حين ان نسبة وفيات الاطفال عند المعفين عن الغول هي ٢٣/٢ في المئة . وتعظم وفيات الأطفال بنسبة إدمان سكر الأبوين المزمن . وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً ان النساء المبتليات بالغوليـة اللواتي لا يعيش لهن اولاد يصبحن أمهات ذوات اولاد اذا هجرن الغولية وانقطعن عن المسكرات .

وأيد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاآت العلمية الآتية : فان هذا العالم أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولد لها ٢٠٠٠٨ أولاد فشاهد ان نسبة وفيات الاطفال في الأسر التي لا تتعاطى شرب الغول هي ١٣/٤٥ في المئة وان نسبة الوفيات في الاسر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي ٢٣/١٧ في المئة . وان هـذه النسبة تصعد الى ٣٣/٢٠ في المئة في الاسر المدمنة السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب داع لانقطاع النسل واضمحلال الامة .

استحالة النسل الغولية . — ولننتقل الآن من الماهية الى الكيفية لنشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الابناء وصور أبدانهم ونفوسهم . فقد سبق لنا القول بان الغول يفسد البذور المنوية وان من الحبة الفاسدة لا يحصد الا ثمر فاسد . ونظرة خفيفة في احصاآت أطباء المدارس في الممالك الراقيـة ، ومديري ملاجىء تعليم البله ، واحصاآت المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤلمة .

قال بورنفيل (Bourneville) انه استقرأ حياة ابوي الف فدم اي ابله منتهاه بالبلاهة لا يعقل ولا يتكلم ولا يعي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانا من مدمني الغول في (١٦٥) حادثة .

وقد فحص اليكس نيكول (Alex Nicholle) من نيو يرك (٦٣٠٠٠) تلميذ في المدارس فشاهد ان ٥٣ — ٧٧ في المئة من اولاد السكيرين هم دون الحد الوسطي من الوجهة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس برلين هم من آباء سكيرين . و بالنظر لتفاقم عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوربة واميركة لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، بعهد بادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائيين . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الأضرار ، مما يكبدها نفقات عظيمة ويثقل كاهل موازناتها السنوية .

الجنون والغولية . — وقد لا نعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً تجاه ما تنفقه تلك الحكومات من الملايين من الليرات على دور المرضى والمجانين التي تضم بين جدرانها الوفاً . وألفة من انقاض البشرية الذين كان الغول من اكبر العوامل في تجريدهم من الانسانية ، والزام البشرية بهم ، مما تضطرب لهوله القلوب .

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره ماينان وبوشرو (Magnan & Bouchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون الناشئ عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى سانت آن .

وجاء في الاحصاآت الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) وماينان (Magnan) ولغران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجئ قطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم . وجاء في احصاآت سويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء .

وجاء في احصاآت ملاجئ بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة . وجاء في احصاآت ملاجئ انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة . وان نسبة الجنون الغولي هي ٣/٢٦ في المائة عند الرجال و (٤/١٠) عند النساء .

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) لملاجئ ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام

١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و٩,٥ في المائة عند النساء .

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (warren Ferris) وهو يشمل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/١ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السنين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول .

واليكم الآن الاحصاء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيويورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره . فان هذا الاحصاء يذكر انه دخل ملاجئ نيويورك خلال سنة ١٩٠٨—١٩٢٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخلين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٧ حيث استقرت . ثم اخذت تتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات .

تلك قطرة من وابل من مجموع التجارب والمشاهدات العلمية التي ابدتها الاحصاءات التي قام بجمعها وضبطها جهابذة اساتذة العلم في الممالك الراقية في جميع انحاء العالم . وكلها متضافر متضامن على تأييد حكمة تلك الآية الكريمة (واثمهما اكبر من نفعهما) وعلى اثبات فداحة مضار الغول في الفرد والاسرة والامة ، وان الغولية داء عضال تفشى في هذا العصر في الامم العظمى تفشياً سريعاً لاعهد للتاريخ بمثله في الازمنة الغابرة . وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر . وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبتسرة لم تحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا ببعيد .

قال لغران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العملية ما نصه : (الغول سلاح مهلك بيد الامم الجائرة تدفعه الى الامم الضعيفة فتنتحر به) (فمن ذا الذي لا يعلم ما فعله مستعمرو اميريكا الشمالية بسلاحهم المسمى ماء الحياة بسكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء . ومن ذا الذي يجهل ما نصنعه بالاسود في مستعمراتنا الافريقية وما نحاوله بالعرب . ومن يجهل ما صنعه،

الاسوجيون مع اللابون . » الى ان قال (ص ١٩٠) « وكل الحكومات فعلت ذلك . فالانكليز باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نحصد السود بخمورنا وغولنا . ثم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً بيد الامم القوية ستقضي هي نفسها بهلاك هذه الامم القوية (ما دامت مؤوفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا تنقص عنها » .

ومما تقدم بيانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لنا ان للغول مضار عظمى ومنافع ضئيلة . وتنحصر هذه المنافع بامرين : احدهما ان الغول غذاء ، والثاني انه منبه . اما القول بان الغول غذاء فقد أبطلته تجارب روبنير (Rubner) التي برهنت على ان ما كل ما يشتعل في الجسم يعد غذاءاً . وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح انواتر وبنديك نفسها وهما اللذان اثبتا بتجاربهما قيمة الغول الغذائية بانه اذا كان الغول يعد غذاءاً لاحتراقه في الجسم فهو غذاء سيء غذاء مكروه لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه . وعلى ذلك فقد اضاع الغول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا يأسف كثيراً لهذه الخسارة لان غواته لم يعشقوه لاجلها بل لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة . اجل ايها السادة ، ان الغول منبه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والماهية ، مما يتعذر تحقيقه لما بين الاجسام من التفاوت ولما يطرأ على الجسم الواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة وبفواصل بعيدة اعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناولها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعلها ويضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كميتها تدريجاً فيتجاوز بعمله هذا الحد الصحي ويعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها .

واذا كان في الامم افراد قليلون ذووا إرادة قوية وتربية صحيحة في وسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحفظوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، فهم كما قال الغران

أضرّ على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يمثلون للناس فضائل الغول ويتخذهم صناعه و باعته عنواناً لدعايتهم ، فيقلدهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهوون الى اشقى الحياة المادية والمعنوية .

فمن الفضيلة والانسانية اذاً ان يفادي هذا الفريق العاقل بتلك اللذة العارضة كي لا يكون طعماً في شراك الغول يغتال به الوالد ثم الولد والاسرة ثم الامة .

وقد اهاب نذير هذا الخطر المداهم بالامم الاوربية والاميركية التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بدبيب السم ، سم الغولية الى مراكز اعضائها الحيوية . فاكبرت الخطب واعظمت الخطر واستفظعت العاقبة وقامت تتداعى كما تتداعى الاعضاء الصحيحة في الجسم المحموم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استحكمت في النفوس براثنه ، كما تتشعب الياف السرطان في الجسم فبات الويل في نزعه والموت في تركه .

جيوش جرارة من علماء اساتذة وسياسيين واطباء وقانونيين وادباء ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين وملحدين نساء ورجالاً شيباً وشباناً يلبون باجمعهم نذير العلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ، يعلنون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .

فهنالك في سكاندينافيا وفينلاندا وانكلترا والمانيا وهولاندا وسويسرة مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية والهزلية والاجتماعية المنقطعة تخصصت لمقاومة الغولية .

هنالك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات منازل فرسان الشباب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يعدون بالملايين . وجمعيات امل السرير (Espoir du Bereau) وهي تضم الوفاً من الامهات تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هنالك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تضم الى جسمها عضواً يشرب المسكر على اختلاف كمياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة البيضاء Ruban blanc) الخاصة بالبنات يتدربن فيها على مكافحة المسكرات ليكنّ في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هنالك الجهاد اللاغولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيئته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة ضد المسكرات ، حذوا بما فعله نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين ابدوا بعملهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان والجرأة والمفاداة ما لم يتجل في امة من امم التاريخ القديم والحديث ·

وبينما نار الحرب تتأجج في اوروبا وامريكا لمقاومة الغول ومطاردته نرى البلاد العربية المتمدنة هذه الغادة الاسيرة الفتانة تتجه بكليتها نحو هذا العدو الافعى كأنها استلانت ملامسه ولم تستنكر نواجذه ، او كأنها سئمت الحياة فراحت تتطلب من سمه مخرجاً منها · وفي ذلك لعمري منتهى الجبن ، واقصى الغباوة ، وابشع خيانة ·



الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٨ -

الجسم الذي له شكل مخروط والذي يكون في إبط ورقة النبات هو اما عين او برعم. فاذا انفتح عن محور خشبي واوراق سمي عيناً و بالفرنسية (Oeil) اما اذا انفطر عن زهرة فهو البرعم والبرعوم و بالفرنسية (Bouton à fleurs) ويلاحظ ان لفظة « العين » لم نضعها نحن ترجمة للفظة الفرنسية (Oeil) بل هي موجودة في كتب اللغة القديمة حيث كانت تستعمل للمعنى المذكور .

واذا انفتحت العيون او البراعم فقد اكمحت وقطنت وانفرجت وانفصدت وفقّحت وانفطرت وهو بالفرنسية (Bourgeonnement) .

والاغصان التي تنفرج عنها العيون اصناف : ولكل صنف منها اسم في فن تقليم الشجر . والالفاظ العربية القديمة التي تدل على اشكال الاغصان لا تشتمل على المعاني الفنية الحاضرة للاشكال المذكورة ولهذا لا بد من حصر المعنى الذي هو في المعاجم او التوسع به حتى يكون لكل معنى من المعاني الفنية لفظة عربية خص بها . فالعين في بدء انفطرها غرنوق و بالفرنسية (Bourgeon) وهو غصين لدن يسمى غرنوقاً ما دام صغيراً طرياً .

واذا كان الغصن صغيراً طوله سنتيمتر الى ثلاثة سنتيمترات و كان غليظاً متغضناً سهل القصف بينه وبين فرع الشجرة زاوية قائمة فهو الخُوْط و بالفرنسية (Lambourde) و يكون الخوط في الدراق والخوخ والكرز محتوياً على كثير من البراعم الزهرية فيسمونه في فرنسة « باقة ايار » .

ومن الاغصان غصن مثمر صغير طوله ٣—٨ سنتيمترات املس غليظ صغير العيون والبراعم الجانبية كبير العين العليا يكاد يكون بينه وبين الفرع زاوية قائمة . وهو اجود الاغصان المثمرة في التفاح والكمثري والسفرجل . يسمى بالفرنسية (Dard) ورأيت ان نسميه الغُملوج .

ومنها غصن دقيق سهل التلوي يبلغ طوله ١٠ سنتيمترات الى ٣٠ سنتيمتراً وبينه

وبين الفرع زاوية منفرجة · وتكون براعمه العليا صالحة للازهرار في التفاح والكمثرى اما براعمه السفلى فتتلف · وفي الدراق تزهر جميع براعمه · ويسميه الفرنسيون (Brindille) وارى ان نخصه بلفظة المسلوج ·

ومنهـا غصن قوي يتراوح طوله بين ٣٠ سنتيمتراً ومترين ويكون مع الفرع الذي يحمله زاوية حادة . وهو لا يزهار على الأكثر ويسمى بالفرنسية (Rameau) وبالعربية الخرعب والغصن ·

ومنها الذي ينشأ من عين عرضية او زائدة على الفروع والسوق وهو سريع النبات مضر في الغالب و يسمي الغصن العرضي او الطفيلي (Rameau gourmand) ·

ومنها الذي يحمل عيوناً و براعم معاً وهو مفيد في الدراق لكنهم يقلمونه في التفاح والكمثرى واسمه الغصن المختلط او الشـامل او المشترك (R.mixte) ومتى شاخ الغصن وقسا ونشأت عليه اغصان فهوفرع اوشعبة (Branche) وهاك خلاصة الالفاظ المذكورة مع ما يقابلها بالفرنسية :

العين	Oeil
البرعم	Bouton à fleurs
اكمح وقطن وانضرج وانفصد وفقح ونفطر	Bourgeonner
الغرنوق	Bourgeon
الخوط	Lambourde
الغملوج	Dard
المسلوج	Brindille
الخرعب والغصن	Rameau
الغصن العرضي او الطفيلي	Romeau gourmand
الغصن المختلط او الشامل او المشترك	R. mixte
الفرع والشعبة	Branche

وفي فن الحراج الفاظ تدل على الحرجة في حالاتها المختلفة كأن يكون شجرها صغاراً او كباراً ، متفرقة او ملتفـة ، نامية من بزور او من أرومة الشجرات المقطوعة الخ · ولم

أجد في المعاجم الفرنسية العربية ألفاظاً عربية صحيحة مقابل ما يستعمله الفرنسيون من الألفاظ للمعاني المذكورة . ولذلك رأيت ان نستعمل لها الحروف الآتية مع التوسع او التقييد وهي :

الحَرَجة ج حِراج وأحراج وحَرَج ومحاريج لجماعة الشجر على الاطلاق وهو بالفرنسية (Bois) او (Forêt) ومتى كان شجر الحرجة طوالاً ضخام السوق يزيد قطر الساق على ٢٠ سنتيمتراً وربما بلغ ٥٠ سنتيمتراً فالحرجة هي غابة و بالفرنسية (Futaie) . وتحصل الغابة من البزور لا مما ينبت على أرومة الاشجار المقطوعة .

وقبل ان تكبر أشجار الغابة وتضخم سوقها اي عندما يكون قطر ساق الشجرة دون ٢٠ سنتيمتراً فالحرجة تسمى أجمة و بالفرنسية (Perchis) .

وقبل ان تبلغ الأشجار قدّ شجر الآجام اي عندما تكون شجيرات مشتبكة الأغصان مختلفة الطول فهي غيل و بالفرنسية (Fourré) .

هذه كلها في الشجر التي تنبت من البزور فاذا نمت في عجز الأشجار المقطوعة اي كانت فراخاً او أرآداً فالحرجة تسمى خيساً (Taillis) . وهذا الشكل لا وجود له في أشجار الفصيلة الصنوبرية مثلاً لأنها لا تفرخ بعد ان تقطع .

والعيص جماعة الشجر ذي الشوك ج أعياص . ولعل ما يقابلها بالفرنسية لفظة (Broussaille) فهي تطلق على النباتات الشاكة التي تنبت في الحراج .

وتلخص الحروف المذكورة مع مقابلها بالفرنسية على الصورة الآتية :

الحرجة	Forêt
الغابة	Futaie
الأجمة	Perchis
الغيل	Fourré
الخيس	Taillis
العيص	Broussaille

« للبحث تلو »

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

اصل لفظة « عربة »

ما كدت أطالع في مجلة المجمع العلمي (٩ : ٣٥٦) قول القائل (ووضع ابن بطوطة ايضاً العربة للعجلة التي تقل الركاب) حتى خشيت ان يسري هذا الوهم الى سواه فجئت في نبذتي السابقة (ص ٦٩٩) أتساءل عما اذا كان ابن بطوطة هو الذي وضع هذا اللفظ ؟ فبينت هناك ان ابن بطوطة ليس من اهل الوضع وانه راوٍ لهذا اللفظ لا واضع . ولما كان الشيء بالشيء يذكر استطردت الى قول حضرة الأب انستاس الكرملي ان لفظة (عربة) تركية الاصل (المشرق ٥ : ٩ؤ٥) او تركية التركيب والوضع كما يريد الآن (لغة العرب ٨ ص ٢٨٦) وذهبت اذ ذاك الى انها من اصل سرياني وذكرت ما قاله لغويو السريان في مادتي (ابزرا وعربا) ملحقاً ذلك بما قاله احمد وفيق باشا في معجمه (اللهجة العثمانية) عربة خطأ لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه) وهذا يؤكد ماقلته : لاظن العربة من اصل تركي مذيلاً كل ذلك بما قاله العلامة الزبيدي في التاج : والعربات سفن رواكد كانت في دجلة النهر المعروف . وهو ما قاله العلامة ابن منظور في لسان العرب . بقصد ان اثبت ان ما ذكره لغويو السريان لا يتعدى ما قاله لغويو العرب في مادة عربة . وقد كنت حينذاك وقفت على نص ياقوت الحموي في معجم البلدان في شأن عربة حيث قال : والعربة بلغة اهل الجزيرة السفينة تعمل فيها رحى في وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور يديرها شدة جريه قال (وهي مولدة فيما احسب) والاولى انها اعجمية كما ترى . وقد قلت عندئذ وهذا يحقق ما قاله لغويو السريان (جناح دولاب العربة) في الماء و يرجح ان اللفظ اعجمي وقد كان معروفاً في بغداد خاصةً . فظهر الآن من قول ياقوت انها كانت معروفة في الجزيرة ايضاً . وان اصل اللفظ من لغة اهلها اي السريانية . وقلت اخيراً ان العربة كانت من اعتاد [1] الحرب عند الشعوب القديمة فتوسعوا في معناها ونقلوها

(١) انكر الأب انستاس الاعتاد جمعاً لعتاد وانا اكتفي بما اثبته اللغويون في هذا

من معنى الرحى التي تكون في الماء الى معني المركبة او العجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى · على ان الأب انستاس الكرملي لم يرقه كل ذلك فعاد في مجاته لغة العرب[1] يؤكد ان العربة تركية الاصل وانه لما قال تركية لم يقل انها كذلك بلفظها الحالي بل اراد ان يقول تركية التركيب والوضع ··· الى ان قال : اما ان العربة تركية فهو لا يشك فيها لانه رآها مدونة بهـذا المعنى في كتاب (ديوان لغات الترك) لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦هـ (١٠٧٣م) واى في اواخر المائة الحادية عشرة قال وانت تعلم ان المؤلف تركي صنف كتابه في بغدد نقل الفاظه عن الترك كما نعلم ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الاوطان الا بعاد

الجمع قال في لسان العرب الاعتد جمع قلة للعتاد وهو ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب للجهاد ويجمع على اعتدة ايضاً · قال : وفي رواية انه احتبس ادراعه واعتاده قال الدارقطني قال احمد بن حنبل قال علي بن حفص واعتاده واخطأ فيه وصحف وانما هو اعتدة (اي جمع قلة) وجاء في رواية اعبده بالباء الموحدة جمع قلة للعبد · وفي معنى الحديث قولان احدهما انه كان طولب بالزكاة عن اثمان الدروع والاعتد على معنى انها كانت عنده للتجارة فاخبرهم النبي (صلعم) انه لا زكاة عليه فيها وانه قد جعلها حبساً في سبيل الله · والثاني ان يكون اعتذر لخالد ودافع عنه يقول اذا كان خالد جعل ادراعه واعتاده في سبيل الله تبرعاً وتقرباً الى الله وهو غير واجب عليه فكيف يستجيز منع الصدقة الواجبة عليه اهـ · وقال في المصباح « واخذ للامر عتاده (بالفتح) وهو ما اعده من السلاح والدواب وآلة الحرب وجمعه اعتد واعتدة مثال زمان وازمن وازمنة · وفي حديث ان خالداً جعل رقيقه واعتده حبساً في سبيل الله · ويروى واعبده بالباء الموحدة والاول اظهر للحديث الصحيح · اما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس ادراعه واعتاده في سبيل الله اهـ بلفظه وهذا كاف لاثبات ان اعتاد جمع كثرة للعتاد وانه جاء في كلام القوم من اقدم الايام · ولا ابالي بعده سائر ما جاء به الأب انستاس من هـذا النمط فاني لا اريد ان اجعل مجلة المجمع ميداناً للقال والقيل كما لا يخفى ·

(١) سنة ٨ جزء ٤ ص ٢٨٥ وما يليها واعاد نشر رده ملخصاً في مجلة المجمع العلمي ·

مئات من السنين ... الى آخر ما جاء به وانا ارى انها سريانية الاصل اخذها الترك عن السريان وتوسعوا في معناها ونقلوها من المعصرة والرحى في الماء الى المركبة او العجلة .

لا يجهل الخبير ان السريان المشارقة او النساطرة قد كانوا على اتصال بالترك ، قال ابن العبري في مختصر الدول (ص١٣٥) وآمن بعد هؤلاء أصناف من الترك ايضاً . وجاء في سيرة مارآبا (سنة ٥٤٠—٥٥٢ م) ان خان الهون البيض « وهم جيل من الترك كانوا يتوطنون بكتريانة » أرسل الى جاثليق النساطرة مارآبا المشار اليه يطلب منه ان يرسل اليه أسقفاً ينصر القبائل التي كانت خاضعة لسلطانه ففعل وأنشأ أسقفيتين في هراة وسمرقند (سيرة مارآبا ص٢٦ وكتاب لابور ص ١٨٩) وممن سعى لتوثيق عرى العلاقات بين الترك والسريان المشارقة طيموتاوس الكبير في أواخر القرن الثامن فقد ذكر في احدى رسائله سنة ٧٩٢ م ان أمة الترك تنصرت على يدي أساقفة ارسلهم اليها وروى توما المرجي في كتاب الرؤساء (ص٢٥٢—٢٦٣) ان شو بحا ليشوع مطران جيلان والديلم ذهب بامر طيموتاوس الكبير الى جهات الهرقانيين والاتراك فنصّر كثيرين وشيد الكنائس . وقد تبعه اخواه بياهالا وكرداغ اللذان سقفهما طيموتاوس الموما اليه وأرسلهما الى بلاد الأتراك صحبة خمسة عشر راهباً من دير مارآبا .

وفي تاريخ بطارقة المشرق لماري بن سليمان ان طيموتاوس دعا الى الايمان خاقان ملك الترك وغيره من الملوك . ومنذ ذلك العهد ترى للنساطرة عدة كراسي أسقفية في بلاد الترك وماجاورها عدّدها عمرو بن متى في تاريخه المعروف بالمجدل (ص١٢٦) وانا لا أقصد تبيان انتشار النصرانيـة بين الاتراك بل أتوخى ذكر اتصال الترك بالسريان المشارقة او النساطرة من أقدم الايام فلا عجب ان استعار الاتراك من السريانية بعض الالفاظ كما استعاروا كثيراً من الالفاظ الفارسية والعربية وغيرها .

ومن المقرر ان الترك كانوا في العراق والجزيرة بل في بغداد نفسها . قال ابن خلدون ان الترك عند الفتح (العربي) لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة ايام سائر دولة بني أمية وصدراً من دولة بني العباس فامتلأت أيدي العرب من سبيهم واتخذوهم نولاً[1] في المهن والصنائع ...

---

(١) الجمع لعل صوابه نُدُلاً او خولاً .

ولما كانت بغداد قاعدة الدولة العباسية ادنى الى بلاد الترك من دمشق وكان اولوا عصبيتها الفرس في خراسان على مقربة من الترك شرع هؤلاء وأخص منهم بالذكر عشائر القانقلي والقالاج والتركمان سكان مابين النهرين يتقدمون في صدر الدولة العباسية في خراسان والعراق هرباً من أذى أبناء عمهم الأغور [1] وطلباً للرزق (Le Cahun int. a l hist. de l' asie) .

ثم تضاعفت رغبة الترك بالمهاجرة الى الشرق الادنى حينما عوّل العباسيون على تجنيدهم بعد ان كانوا مماليك بالقصور في ايام الأمويين وفي زمن السفاح اول العباسيين (سنة ١٣٢—١٣٧ ﻫ) فان ابا جعفر المنصور ثاني العباسيين (سنة ١٣٧—١٥٨ ﻫ) كان اول من فطن للاستفادة من بأس الترك فألف منهم شرذمة قليلة لا شأن لها وانما بقي الشأن الاكبر يومئذ للعرب وللخراسانيين الفرس (المسعودي ج٢ ص ٢٤٦) .

ثم اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشيد بطانة اصطفوهم من موالي الترك والروم والبربر ملأوا منهم المواكب في الاعياد والمشاهد والحروب حتى اتخذ المعتصم مدينة سامرا انزولهم وكان اسم الترك يعمهم جميعاً فكان الروم والبربر تبعاً لهم ومندرجين فيهم .

وفي اثناء ذلك كان يتنازع السلطة في الدولة العباسية عنصران قويان العرب وهم اصحاب الدولة والفرس وهم اهل عصبيتها الذين قاموا بتأسيسها حتى اذا انتصر المأمون باخواله الفرس على اخيه الامين وعصبيته العرب تفرد الفرس بالسيطرة . ومع ذلك فلم تكن حاشية الخليفة تخلو من الترك النافذي الكلمة يذكر منهم طولون جد الدولة الطولونية بمصر . ثم لم يمض الا القليل حتى قام الترك مقام العرب في منازعة الفرس النفوذ . ولا سيما منذ صار الامر الى المعتصم ثامن العباسيين (سنة ٢١٨ — ٢٣٢ ﻫ) فكثر اذ ذاك الترك في ارجاء العراق (راجع فلسفة التاريخ العثماني ص٣٢ وما يليها) فلا يستغرب اذا اقتبس الترك مثل لفظة (عربة) عن السريان العراقيين وقد كانت على حبل ذراعهم سواء أكان في بلادهم ام في العراق والجزيرة . فلا يقتضي لها مئات او آلاف من السنين حتى تنتشر وتشيع بين الترك كما ادعى حضرة الاب . بل لا يستغرب اذا

---

(١) كذا رسمها بعضهم ورسمها آخرون (الاو يغور) .

ذكرها محمود بن الحسين الكاشغري في (ديوان لغات الترك) في أواخر القرن الحادي عشر دون ان يشير الى أصلها السرياني ·

وقد ذهب بعضهم الى أن لهجات القبائل التركية على كثرتها تعود الى اصل واحد هو التركي القديم ومنه التركي الحديث · وذهب آخر الى ان اللهجة التركية التي انتقلت الى الشرق الأدنى عن الطريق الاول كشغر وفرغانة وسمرقند الى فارس والعراق تسمى (اللهجة الخاقانية) والتي انتقلت عن الطريق الثاني ضفاف جيحون في خراسان الى الشواطئ الجنوبيـة من بحر طبرستان (الخزر) فمقاطعات قوهقاف الى الاناضول تدعى (اللهجة الأغورية) وهي الباقية في الاناضول على ألسنة التركمان · وكيف كان الامر فقد ثبت انـ هذه اللغة لم تكتب باحرف خاصة بها بل كتبت بحروف لغات عديدة فقد عثروا على كتابات تركية مكتوبة باليونانية واللاتينية والسريانية والرونيـة (Le runnique) ثم كتبت بالحروف العربية والارمنية · وقد غلب على بعض القبائل ولاسيما الأغور كتابة لغتهم بحرف خاص نقلوه عن الكلدانية وعُرف بالحرف الأغوري وهو يكتب عمودياً من الشمال الى اليمين · الى ان كتبت التركية الآنـ بالحروف اللاتينية لقطع آخر صلة بالعرب واللغة العربية · فاذا كانـ الاتراك القدماء اقتبسوا الكتابة السريانية او الحروف الكلدانية فليس بمستغرب اذا اقتبسوا عن اللغة السريانية بعض الالفاظ فتأمل ·

واذا تقصيت الجلد الثاني من (منتخبات اللغات العثمانية) تجد مؤلفـه يذكر في مادة (عربة) عرب · عُرباء · عربان · عربده · عربدهجو · عربستان · عربون · عَرَبة · عربي · عربيد · فنتحقق ان (عربة) لا تمتّ الى أصلي تركي · واذا طالعت قاموس اللغة العثمانية المعروف (بالدراري اللامعات) تراه يقول في مادة (عربة) عرب — عراب اسود زنجي · عرب داريسى قمح اسود · عرب صـاچى مشوش مضطرب · عَرَب كُوله المملوك الاسود · عربجه عربي · عربدهجو (ع ف) معربد · عربستان بلاد العرب عَرَبه عجله (عربة) فنتأكد ان لفظة (عربة) لا تشتق من اصل تركي ·

ولا بدّ من تنبيه حضرة الأب الى ان احمد وفيق باشا لا يبحث في اللغة العربية او اليونانية بل يبحث في لغته التركية وقد تابعته في بحثه عن هذه اللغة فقط فلا يفيد الأب

ما عنّي نفسه به وعدده من الالفاظ التي عربها العلامة سليمان البستاني في الالياذة بحرف العين في اولها ووسطها وآخرها كما لا يفيده ذكر غيرها من الالفاظ التي عربهـا العرب بالعين بدلاً من الألف ولو بلغت الوفاً عديدة . فان احمد وفيق باشا لما رأى لفظة (عربة) مدونة في اللغة التركية بهـذا الرسم قال عربة خطأ محض وعلل ذلك مبرهناً عليـه بقوله لان حرف العين لا وجود له في اللغة التركية فلفظ عربة غير تركي لانه مبدوء بحرف العين الذي لااثر له في التركية وهو ما اردته عندما تمثلت بقول ذلك العالم المدقق فتبصّر وتدبّر .

وغريب من حضرة الأب ان يقول في حاشية صفحة ٢٨٦ من مجلته ونقول الآن : (عفارم) وفي التركية (افرين) الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط اوالآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر أصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها في لغتنا بهذا الحرف الحلقي ؟ وهو قول جميل جداً ولكنه لا يعدّ حجة للأب بل حجـة عليه يؤيد به قول احمد وفيق باشا السابق الذكر حيث قال : ان حرف العين لا وجود له في التركية . فقال العرب (عفارم) بالعين وقال الترك (افرين) بالالف وعليه لا ينكر اصل اللفظ الغريب الخالي من العين لاننا نقلناه في لغتنا العربية بهذا الحرف الحلقي . ولكنه ينكر في اللغة التركية لان العين لا وجود لها في هذه اللغة مما لا يختلف فيه اثنان .

وقال حضرة الأب في ص ٢٨٨ من مجلته ان لفظ العربة بمعنى العجلة لم تشع بين الناطقين بالضاد قبل المائة الرابعة للهجرة او المائة العاشرة للميلاد . فاذا كان ذلك كذلك فعمن اخذها العرب عن الترك ام عن السريان ؟ وكما توسع بها العرب ونقلوها من معنى السفينة بالماء الى معنى سفينة البر التي نقل الركاب تصرف بهـا الترك ايضاً فنقلوها من معنى الرحى بالماء الى معني المركبة .

والاغرب ان حضرة الأب انستاس في رده ونقده تراه على خلاف عادته لا يعرج على اشتقاق اللفظ من اصل تركي بل يعتمد في قوله ان اصل (عربة) تركي على مثل صاحب مرآة اللغات ومؤلف الدرر العثمانية وصاحب لهجة اللغات وغيرهم ولا سيما محمود الكاشغري مؤلف (ديوان لغات الترك) مما لا يجدي نفعاً في هذا البحث ولا يثبت ان

العربة تركية الاصل و بالنتيجة لا يجردها من اصلها السرياني · واذا كان السريان عرفوها بمعنى المعصرة او الرحى او ما اشبه ذلك فقد توسع بهـا الترك ونقلوها الى معنى العجلة او المركبة كما فعلوا في غيرها من الالفاظ مما لا يحتاج الى دليل او برهان · و بهذا القدر كفاية للمتأمل البصير فقد اخاصت القصد ووفيت الامانة حقهـا في بيان الحقيقة ولكل احد ان يتبع الرأي الاقرب الى الصواب ·

الخوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي

استدراك

كتب اليَّ عالم من علماء العراق يقول : خطأتَ في الصفحة ١٩٠ من الجزء الثالث استعمال البق والصنار والفندق وأوجبت استعمال البعوض والدلب والبندق بدلاً منهـا على حين ان الألفاظ الاولى لاغبار عليها · وخطأتَ استعمال حرفي الدبق والعنم للنبات المسمى بالفرنسية (Gui) و باللاتينية (Viscum album) وهما صحيحان ·

قلت لاشك ان البق في كتب اللغة يطلق على جنسين من الحشرات هما انواع البعوض (Moustiques) ونوع بنات الحصير ذوات الرائحة الكريهـة (Punaise) · ولكن الشاميين الا القليل منهم لا يعرفون ان لفظة البق تطلق على البعوض · اما هذه اللفظة الأخيرة فلا يجهلها احد من المتعلمين ولذلك يجب في الكتب المدرسية ككتاب الاستاذ الهـاشمي ان تُسمى حشرات الـ (Moustiques) بعوضاً وحشرات الـ (Punaises) بقّاً وهذا التخصيص ضروري جداً في الكتب التي تدرّس في المدارس ·

ومن البديهي لديَّ ان لفظتي الصنار والفندق صحيحتان · ولكن من هو الذي يعرف في الشام على الأقل لفظة الصنار المعربة عن جنار الفارسية · انه لا يعرفها احد على العكس من لفظة الدلب الشائعة · وكذا لفظة بندق فانه لا يلفظها احد في الشـام بالفاء فلهذا السبب « ثم لأسباب أُخرى يطول شرحها » رجحت استعمالـ الدلب والبندق بدلاً من الصنار والفندق في الكتب المدرسية خاصةً الا اذا كان العراقيون لم يألفوا

سوى لمطلي الصنار والفندق فعندئذ توضعان بين هلالين بجانب حرفي الداب والبندق ·

اما الدبق فهو مواد لزجة لانبات · ومن هذه المواد صنف يصنع من نبات ال(Gui) لكن أهمها « ولاسيما الدبق الذي تصاد به العصافير » تصنع من نباتات أخرى ، مثل النبات المسمى (Ilex) وغيره · فاذا قلنا « شجر الدبق » نبادر الى الذهن كل الاشجار التي تصنع منها مادة الدبق وهي كثار · اما اذا قلنا شجر الهدالة فلا يرد الى الذهن سوى نوع نباتي بعينه هو ال (Gui) ·

اما لفظة العنم فلا يناسب « على ما حققته من تحلية هذا النبات » اطلاقها على نبات الـ (Gui) بل تطلق على بعض أنواع الجنس المسمى (Loranthus) ·

مصطفى الشهابي



مطبوعات حديثة

مرغريت

— أو —

غادة الكميليا

« ترجمها الدكتور احمد زكي »

لا أذكر اني قرأت دُفْعَة خمسين صفحة من كتاب دون ان ينتابني اليسير من التعب او الضجر ، اما رواية « غادة الكميليا » فقد جلست لقراءتهــا جلستين ، فما نهضت حتى أتيت عليها كلها ، ولقد وددت لو انّ المؤلف قد أرخى من عنان الكلام حتى لا يكون لهذه الرواية آخر أقف عنده ·

خلاصة هذه الرواية ان «مرغريت» وهي بغيٌ من بغايا باريز بارعة الجمال أحبّت فتى اسمه «ارمان» ولما علم والد «ارمان» بهذا الحب ألحّ على «مرغريت» في هجر «أرمان» فهجرته «مرغريت» رأفة بوالده على فرط حبها إياه ·

سوي لمنظفي الصنار والفندق فعندئذ توضعان بين هلالين بجانب حرفي الداب والبندق .

اما الدبق فهو مواد لزجة لانبات . ومن هذه المواد صنف يصنع من نبات الـ(Gui) لكن أهمها « ولاسيما الدبق الذي تصاد به العصافير » تصنع من نباتات أخرى ، مثل النبات المسمى (Ilex) وغيره . فاذا قلنا « شجر الدبق » نبادر الى الذهن كل الاشجار التي تصنع منها مادة الدبق وهي كثار . اما اذا قلنا شجر الهدالة فلا يرد الى الذهن سوى نوع نباتي بعينه هو الـ (Gui) .

اما لفظة العنم فلا يناسب « على ما حققته من تحلية هذا النبات » اطلاقها على نبات الـ (Gui) بل تطلق على بعض أنواع الجنس المسمى (Loranthus) .

مصطفى الشهابي



مطبوعات حديثة

مرغريت

— أو —

غادة الكميليا

« ترجمها الدكتور احمد زكي »

لا أذكر اني قرأت دُفْعَة خمسين صفحة من كتاب دون ان يواثبني اليسير من التعب او الضجر ، اما رواية « غادة لكميليا » فقد جلست لقراءتهـا جلستين ، فما نهضت حتى أتيت عليها كلها ، ولقد وددت لو انّ المؤلف قد أرخى من عنان الكلام حتى لا يكون لهذه الرواية آخر أقف عنده .

خلاصة هذه الرواية ان «مرغريت» وهي بغيّ من بغايا باريز بارعة الجمال أحبّت فتى اسمه «ارمان» ولما علم والد «ارمان» بهذا الحب ألحّ على «مرغريت» في هجر «أرمان» فهجرته «مرغريت» رأفة بوالده على فرط حبها إياه .

لا تظن ان هذه الخلاصة تطلعك على شيء من جمال (غادة الكميليا) فاذا أردت ان تنعم بهـذا الجمال فاقرأ (غادة الكميليا) مرة ومرتين وثلاث مرات وانا أضمن لك انك لا تكاد تفرغ من قراءتها حتى تحدثك نفسك بالعودة الى هذه القراءة ·

لله در صاحبها ! لله در (دوماس) ما أقدره على اللعب بالنفوس ، أوتي من الفن شيئاً عجيباً ، أراد ان يصوّر لنا فضيلة البغايا ، أراد ان يصوّر لنا هذه المخلوقات التي دفعت بها الطبيعة الى مواطن الفحش لسبب من الاسباب او لحاجة من الحاجات فتم له ما أراد وصوّر البغيّ في أكمل صورها فاذا قرأت وصفها علمت ان هذه الطائفة من النساء لها حياة خاصة وشعور خاص وكلام خاص فلو أحببتَ ان تخاطبهن بمثل ما تخاطب به المحصنات لما نجوتَ من شر سخريتهن ·

على ان هذا الوصف ما كان الغاية التي رمى اليها (دوماس) في روايته وانما ذهب في الرواية مذهباً أبعد وحلّق في جوٍ أعلى ، أراد ان يفهمنا معاشر الهازئين بالبغايا الحاقرين لمعيشتهن ان الفضيلة قد تنبت في منابتهن واذا ظهرت هذه الفضيلة في أفيائهن ظهرت بظهورها أعمال تعجز عنها أكمل المحصنات خُلُقاً · أحبت « مرغريت » الفتى «أرمان» حباً ملك عليها كل شيء في العالم ، والمرأة اذا دخل العشق قلبها ضاعت مشيئتها وعميت بصيرتها فلا تتهيّب شيئاً في سبيل عشقها كائناً ما كان ، أحبته حباً جماً فكان من المنتظر ان تضحي بكل شيء في سبيل حبها ، ولكن الذي وقع دلنا على خلاف هذا الامر ، فبدلاً من ان تضحي بكل شيء في سبيل عشقها ، ضحّت بنفسها في سبيل هذا العشق وقتلت عاطفتها لتحيي عاطفة والد « أرمان » رحمة لهذا الشيخ ورأفة بابنته وبمستقبل ابنه ·

وعلى هذه الصورة كانت (مرغريت) النابتة في منبت السوء رمز الخلق الكريم والقلب الشريف ·

ليست مهارة (دوماس) في استخلاص هذه الحكمة الاجتماعية فقد تكون البغي أشرف الشريفات وقد تكون المحصنة أرذل الرذيلات ، واذا بحثنا عن سيرة البغايا أحطنا باسرار كثيرة ، قد تفحش المرأة لسبب من الاسباب ، او لحاجة من الحاجات ، وقد تفحش للفحش نفسه ، فمن البغايا محصنات النفوس ، ومن المحصنات بغايا النفوس ، ما هذه

هي الحكمة الرائعة التي يجب عليك ان تقرأ (غادة الكميليا) من اجلها ولكن اقرأ (غادة الكميليا) لتعرف سلطان الألفاظ على الأرواح ولتدرك اثر الفن في القلوب ٠ فبين انت تسمع كلام (أرمان) وهو ينقم على (مرغريت) لانها وعدته فأخلفت الميعاد اولأنها تهزأ به وبين انت تشارك (ارمان) في رأيه في البغايا ونقمته عليهن ، اذ بك تقرأ كلام (مرغريت) فترجع الى رضاك وتقلع عن نقمتك وتشارك (مرغريت) في حجتها القاطعة فكأنك مسلوب الارادة وماسلبك هذه الارادة الأ فن (دوماس) وعبقريته الساحرة ٠ فهو الذي يلعب بقلبك لعب النسيم بالغصون ، فتارة يميل بك الى الرضى عن البغايا فترضى ، وتارة يميل بك الى الغضب عليهن فتغضب وهذا كل شيء في الفن ٠

وما يحتاج الكاتب الى اكثر من هذه المقدرة ليكون في جملة الخالدين على شباب الايام وعلى هرمها ٠

اما الدكتور احمد زكي فقد استطاع ان يؤدي الينا عبقرية (دوماس) في أروع معارضها ، وهل يطلب الى المترجم شيء اكثر من حسن هذه التأدية ، فما نقصته سلامة الذوق في انتخاب الألفاظ ولا أعوزته لطائف اللغة الشعرية ٠

واذا سامحناه في بعض ألفاظ استعملها في غير مواضع استعمالها ، منها قوله : طرّف شيقة والشيّق في اللغة المشتاق ، والدكتور يريد ان يقول : الطرف الرائعة أو اذا سامحناه في جرأته على استعمال كلمات أعجمية كالمسلين والدنتلات والألواج ، أو إذا سامحناه في بعض صفات أضافها الى الموصوفات على غير ارادة المؤلف (دوماس) توخياً منه ان يجعل النغمات أوقع في الآذان ، اذا ساهلناه في هذه الهفوات اليسيرة استطعنا ان نذوق مايستر هذه الهفوات من الحسنات الكثيرة ، وأظهر هذه الحسنات تناسق ألفاظه الموسيقية من اول الرواية الى آخرها ٠

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

الجواهر
« في تفسير القرآن الكريم »

اهدانا السيد مصطفى البابي الحلبي صاحب المطبعة المشهورة بمصر الاجزاء التي صدرت الى اليوم من التفسير النفيس المسمى (بالجواهر) وهي ستة عشر جزءاً تأليف العلامة الاستاذ طنطاوي جوهري · وقد قضى الاستاذ سنين طويلة في تحبير هذا التفسير ولما يتم وقد بلغ فيه سورة فاطر · ومن تصفحه أدرك سعة علم الاستاذ كما أدرك مبلغ العناء الذي كابده في وضع هذا التفسير والعناية التي بذلها في جمع مواده ، وتنسيق مباحثه ·

وأول ما يخطر للناظر فيه انه لا ينظر في تفسير قرآن وانما هو ينظر في (دائرة معارف) على القرآن تضمنت شرحاً لآياته ثم تاريخاً وأدباً وأخباراً وفلسفة وسياسة واجتماعاً وزجراً ووعظاً وتنبيهاً وتحذيراً حتى انه لم يخل من ذكر نظرية (انيشتين) والاستشهاد بها على ما هو بصدده من تفسير الوحي الالهي وكثيراً ما يقع نظرك على بحث في ثنايا الكتاب فتعجب لذكر مثله في تفسير القرآن حتى تراجع صفحات كثيرة سبقت فيتبين لك اذ ذاك وجه المناسبة ولو ضئيلة بين هذا البحث وبين الاية المفسرة · افتح مثلاً الجزء العاشر ص ٢٢٩ يقع نظرك على مسائل تحت ارقام متسلسلة ثم تقرأ تحت الرقم الاول ما نصه (الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام · ويجب ان تتمتع به في الحال · و بينها الصين ومصر وسورية والعراق) فلا تكاد تصدق انك تقرأ تفسيراً للقرآن فترجع أدراجك الى ما سبق من المباحث مبحثاً مبحثاً فتجد نفسك في تفسير قوله تعالى (والتي أحصنت ···· وجعلناها وابنها ···· ان هذه امتكم ···· كل الينا راجعون) ·

فتفسير (الجواهر) لم يؤلف للطالب العجول · ولا للضجر الملول · وانما ألف للزميت الوقور · الجليد الصبور · ونرجو ان يكثر امثال هؤلاء بين ابنائنا ·

وانا لنشكر للمؤلف الفاضل خدمته كما نشكر للطابع الناشر هديته جزاهما الله عن أمتهما خير الجزاء · « المغربي »

مختار الشعر الجاهلي
« الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ مصطفى السقا طبع بمطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي بمصر
في ٣٣٦ صفحة

من تصفح هذا المصنف الجديد في آدابنا العربية سره منه امران (الاول) ان الطبع التجاري الذي كان يقصد من ورائه مجرد الربح أخذ يتضاءل رويداً رويداً في مطابعنا ، (والامر الثاني) ان المشتغلين في آدابنا العربية عادوا فأدركوا أنه لا يمكن ان يكون لنا أدب جديد مالم يبن على أدب قديم وان العناية بالادب القديم يجب ان تسبق العناية بالادب الجديد فينبغي اولاً أن تستقصي منابع الادب القديم وتنسق مواده وتصحح كتبه وتضبط نصوصه ضبطاً يطمئن اليه قلب الطالب عند دراستها . كما يطمئن اليه قلب الاستاذ عند استخراج القواعد واستنتاج النتائج منها . والكتاب الذي نقرظه مذ الساعة هو من تلك المصنفات الحديثة التي روعي فيها كلا الامرين . وقد اصدر مؤلفه جزءه الاول وضمنه شعر الطبقة الاولى من الجاهليين وبعض اشعار الطبقة الثانية منهم : فهو يذكر ملخصاً مفيداً من ترجمة الشاعر ثم قطعاً من شعره بأرقام متسلسلة و يعلق عليها في ذيول الصفحات تفسيراً لا بالطويل الممل ولا بالقصير المخل . وقد لاحظنا أن الاغلاط فيه طفيفة جداً : مطبعية كانت او لغوية من ذلك كلمة (الود) في قول امرئ القيس ص ٥٣ (تخرج الودّ الخ) فقد ضبطت بالشكل بضم الواو مع ان الصواب فتحها مطلقاً سواء أكانت بمعنى الوتد أو اسماً للجبل . ومنها كلمة (الممر) في قول امرئ القيس ص ٥٣ ايضاً .

(قد غدا يحملني في أنفه لاحق الإطلين محبوك مُمِر)

فقد ضبط (ممر) بضم الميم الاولى وكسر الثانية بصيغة اسم الفاعل وفسره بالمعتدل الخلق . والصواب فيه ان يكون بصيغة اسم الفاعل (بضم ففتح) من أمرّ الحبل اذا فتله فتلاً شديداً ومعناه في صفة الجسم أن يكون قوياً شديد الأسر كالحبل المحكم الفتل وبذلك يتلاءم بقوله قبله (محبوك) . وتفسير (الممر) باعتدال الخلق

غير ظاهر لغةً ولو قال موثق الخلق لكان اصوب . والاعتدال في الجسم التوسط فيه بين الطول والقصر وبين السمن والنحافة و يقولون جارية حسنة الاعتدال اي القوام . و بالجملة فانه اذا صح وصف الفرس بالاعتدال .

(سلي الليل عني كم شققتُ أديمه على ضامر الجنبين معتدل عالي)

فانه لا يصح تفسير (الإمرار) بالاعتدال ولا (الممر) بالمعتدل .

« المغربي »

كتاب رغبة الآمل
« من كتاب الكامل »
تأليف الاستاذ سيد بن علي المرصفي طبع منه سبعة أجزاء كل جزء في نحو ٢٠٠ — ٢٦٠ صفحة بمطبعة النهضة بمصر

سيد بن علي المرصفي مصنف هذا الكتاب هو أستاذ الاستاذين في الآداب العربية وحامل لوائها في البلاد المصرية كان يضع على كامل المبرد هذا الشرح وهو يقرأه على الطلاب وقد طبع منه الى اليوم سبعة أجزاء فقط وصل فيها الى (باب النسب) وشرحه في ذيل الصفحات يستغرق ثلث الصفحة وأحياناً نصفها وآونةً اكثر من ذلك مع ضبط كثير من كلمات المتن بالشكل . اما التحقيق والتدقيق في الشرح والتفسير فحدث عنه ولا حرج . وللشارح ملاحظات كثيرة على المؤلف وتعليقات غاية في الجودة والاصابة . وآثار العناية بطبع هذه الأجزاء ظاهرة ، حتى اننا بعد تصفح كثير من صفحاته لم نظفر بسوى كلمة واحدة وردت في بيت لذي الرمة يصف سيفاً استشهد به الشارح وهو :

(وأبيض موشي القميص نصبته على خصر (مقلاة) سفيه جديلها)

(مقلاة) كذا بالقاف والتاء المربوطة . وصوابه (مفلاة) بالفاء والتاء المربوطة من فلي المفازة يفليها اذا تخللها ومنه قوله :

(ساهمت عيسك مرَّ عيشك قاعداً أفلا فليت بهنَّ ناصية الفلا ؟)

او هي (مقلات) بقاف وتاء مفتوحة . يقال ناقة مقلات اذا لم يكن لها ولد . اذ ان